سلسلة مصريات ٦
تاريخ - فن - حضارة

أنّا مانسيني

# ماعت

## فلسفة العدالة فى مصر القديمة

ترجمة

محمَّد رفعت عوّاد

مراجعة



د. جيهان زكى

تقديم

د. على رضوان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

# ماعت

## فلسفة العدالة فى مصر القديمة

- الكتاب: ماعت، فلسفة العدالة فى مصر القديمة

Maat,

La Philosophie de la Justice de l' Ancienne Egypte

- الكاتب: أنّا مانسينى Anna Mancini
- الكتاب الأصلى صادر باللغة الفرنسية ويصدر باللغة العربية بإذن خاص





Editeur: BUENOS BOOKS INTERNATIONAL, PARIS





- الطبعة الأولى باللغة العربية ٢٠٠٩
- الغلاف: تصميم جرافيك: د. مدحت متولى
- اللوحة إلى اليمين: سشات إلهة الكتابة ودور الوثائق عند قدماء المصريين.
- طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



كورنيش النيل، رملة بولاق، القاهرة. ت:٢٥٧٧٥٠٠٠/٢٥٧٧٥٢٢٨

فاكس: ٢٥٧٥٤٢١٣ (٠٠٢٠٢) ص.ب:٢٣٥ ـ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس

WWW.gebo.gov.eg

Email: info@gebo.gov.eg



- مانسينى، أنّا

ماعت، فلسفة العدالة فى مصر القديمة/ أنّا مانسينى؛

ترجمة: محمد رفعت عواد؛ مراجعة: جيهان زكى؛ تقديم على رضوان.ـ

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩.

١٤٤ ص؛ ٢٤ سم. ـ (سلسلة مصريات)

تدمك ٨ ٢٢٦ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ـ القانون ـ مصر القديمة

٢ ـ العدل

( أ)عواد ، محمد رفعت (مترجم)

(ب) زكى، جيهان (مراجع)

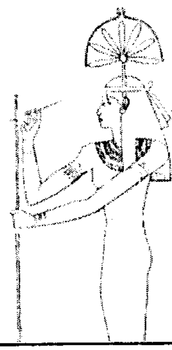
(ج) رضوان، على (مقدم)

(د) العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٤٠٤٠/ ٢٠٠٩

I.S.B.N 978-977- 421 -226 -8

ديوى ٣٤٨,٣٢

أنَّا مانسينى

# مَاعِتْ

## فلسفة العدالة فى مِصر القديمة

ترجمة
محمَّد رفعت عوَّاد

مراجعة
د. چيهان زكى

تقديم
د. على رضوان

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٩

# مصريات

تاريخ ـ فن ـ حضارة





# المحتويات

## الفصل الثالث

## الاقتراب الأكثر واقعية من المشهد يتيح إمكانية استخدام العدالة (٥٥ ـ ٨٤)



## الفصل الرابع

## عدالة تضيء الحضارة المصرية (٨٥ ـ ١٠٦)

# مصر القديمة
# بلد يعيش فى ظل الماعت

بقلم

أ. د. على رضوان

يفهم المصرى القديم تحت كلمة ماعت ($M3^{e}t$) الكثير من المعانى والقيم الرفيعة التى ترتبط بالحق والحقيقة، والصدق والمصداقية، والعدل والعدالة، والنظام والانتظام.

وكانت الماعت بالنسبة لهم هى ناموس الحياة ومنهاجها السليم، الذى وُضع من قبِل الإله الأكبر "رع" ليكون فيه خير البشر والكون. وتدل كل النصوص والشواهد الأثرية على أن "الماعت" ــ فى بساطة ووضوح ــ هى اتباع السلوك السليم، والنهج القويم، والخلق الكريم، لكل من أراد أن يسير فى طريق الحق والفضيلة، أو أن يستقيم.

وفى الدولة القديمة تحدثنا متون الأهرام (Pyr.1775) عن فضل إشاعة "الماعت" فى الكون، فنسمع القول:" إن السماء تكون فى سلام، والأرض تكون فى سرور، ذلك أنه قد أُشيع أن الملك سوف يضع "الماعت" لتحل محل (الباطل)". وكان الحكيم المصرى الأشهر "بتاح حوتب" (الدولة القديمة) من الذين مجَّدوا ظهور الماعت على الأرض، فنجده يقرر: "عظيمة هى

"الماعت"، ذلك أنها ذات قوة فعالية خالدة، وأنهـا لا تتغيـر ولا تتبدل منذ زمن الذى أوجدها (المقصود: الإله الخالق "رع " رب الشمس)".

وطبقًا لقواعد العقيدة فى هليوبوليس (= المطريـة / عـين شمس ــ معقل ديانة الشمس فى مصر القديمة)، فإن الإله الأكبر "رع" هو "سيد الماعت"، وذلك أنه هو الـذى فرضـها نظامًـا وقانونًا وبرنامجًا، لكى يتم التحكم فى النظام الكونى بكل دقائقه، وتنسيق حركة الحياة على الأرض فى شتى مجالاتها. وكانـت هيئة "ماعت" كربة للعدالة والخير والفلاح، قد ظهرت أول مرة منذ أواسط الدولة القديمة، وذلك فى صورة سيدة تضع الريشة، رمزًا للضياء والنقاء، فـوق رأسها. وتشير متون الأهرام (Pyr. 1582) إلى ظهور "ماعت" واقفة خلف رب الشمس "رع"، الأمر الذى يشير إلى ارتباطها الكامل به. وبالفعل، فقد كانت "ماعت"ــ وبحسب النصوص فى كل العصورــ هى ابنة هذا الإله الخالق (رع ) ورفيقته منذ النشأة الأولى.

ولكونها "ابنة رع"، فإن "ماعت" كانت بـذلك فـى مكانـة الأخت والزوجة بالنسبة للملك المصرى القديم، الذى كان بدوره المقابل للإله "شو"، "ابن رع" وصاحب ريشة الضياء والفـضاء فوق رأسه، الأمر الذى جعل الكثير من الملوك يـدخلون اسـم "ماعت" فى لقب العرش الذى يصاحب الواحد منهم منـذ يـوم تتويجه على عرش مصر (قارن مثلاً: "نب ــ ماعــت ــ رع"، والذى يعنى "سيد الماعت [ هــو] رع"، وكـان لقـب العـرش للفرعون أمنحتب الثالث، والد إخناتون). وكان الملـك سـنفرو (والد الملك العظيم خوفو) قد اتخذ لقب: "نب ــ ماعت" ("سـيد الماعت")، ليكون بمثابة اسمه الحورى، أى الاسم الذى يـرتبط فيه بالإله حورس. ولدينا أيضًا أكبر أبناء سنفرو، والذى سُـمى

"نفر ــ ماعت"، وكان صاحب المصطبة الشهيرة التى منها خرجت تلك الصورة التى تُعرض فى المتحف المصرى بالقاهرة تحت اسم "أوز ميدوم". وكانت الملكة "نى ــ ماعت ــ حاب"، زوجة "خع سخموى"، آخر ملوك الأسرة الثانية، وأم الملك "زوسر"، أشهر ملوك الأسرة الثالثة، هى أول من تَسَمَّى فى العائلة المالكة باسم يضم كلمة "ماعت".

وبسبب ارتباطها بالنور ورب الشمس، فإن ذلك كان دافعًا للربط بين "ماعت" وبين مركب الشمس، كما ورد فى متون الأهرام (Pyr.1785)، بل إن ذلك قد انسحب من بعدها، وطيلة العصور الفرعونية، على عينَىْ "رع" (إحداهما الشمس والأخرى القمر!)، فكانتا يُطلق عليهما بلغة المثنى فى المصرية القديمة: "ماعتى".

وعمومًا، فلقد كانت "ماعت" زوجة ورفيقة الإله "چحوتى"، رب الحكمة والمعرفة والحساب، والذى كان النائب والممثل الأول للإله "رع"، وكان أيضًا رسول مجمع الآلهة، وكاتم السر فى مجلس القضاء الإلهى، ورب القوانين والشرائع، وسيد العدالة.

وبطبيعة الحال، فلابد لربة العدالة "ماعت" أن تكون ذات صلة وثيقة بعالم القضاء، وذلك أن متون الأهرام (Pyr.317) تشير صراحة إلى قرار صدر من محكمة برئاسة الربتين "ماعتى" (لعل هذه الازدواجية أن تشير إلى هيمنة الربة "ماعت" وسيادتها على الصعيد تارة والدلتا تارة أخرى)، وكان بخصوص عودة عرش الأرضين المُغتصَب إلى حورس (=الملك)، باعتبار أنه وريث أوزيريس (والده) وجب (جده). كما وأن ساحة القضاء الأعلى، التى فيها تحكم الآلهة بالحق

(بالماعت)، كان يطلق عليها: "مجلس الماعت". من هنا كان اختيار هذه المعبودة، التى هى تجسيد لكل معانى الحق والصدق والعدل والنظام، لكى توضع (أو الريشة التى تدل عليها) فى كفة الميزان، وقلب المُتوفَّى فى كفة أخرى، يوم تقوم محاكمة الناس أمام رب الآخرة أوزيريس. وبناء عليه، فلم يكن غريبًا أن تعرف دار القضاء فى مصر القديمة على أساس أنها "قاعة الماعت". وكان من يشغل وظيفة الوزير ( *ṯ3ty* )، والذى كان رئيس الحكومة ورأس هيئة القضاء فى مصر القديمة، كان يحمل لقب "كاهن ماعت"، وكان يحق له وضع قلادة ذهبية على هيئة هذه الربة على صدره، فى إشارة إلى أنه هو الذى يُطبِّق العدل فى الأرض. من هنا نجد الفرعون العظيم تحتمس الثالث يوجه نصائحه إلى وزيره الأشهر، رخميرع، يوم تنصيبه فى وظيفته الرفيعة، فيقول له: "لا تحكم (بين الناس) بغير العدل، ذلك أن الإله يبغض كثيرًا المحاباة (=الغبن)، هذه هى التعليمات (التى تتبع)، فعليك أن تفكر مليًا للعمل بها (دائمًا)". والطريف أن "سن ــ إن ــ موت"، المهندس المعمارى الذى بنى معبد الدير البحرى للملكة حتشبسوت، يسجل ضمن ألقابه لقب "كاهن ماعت" (Urk. IV, 411,4 )، الأمر الذى لعله يشير إلى رغبة منه أن ينسب لنفسه شرفًا رفيعًا كان مقصورًا على الوزير وكبار رجال القضاء.

وجدير بالذكر أن العلامة الهيروغليفية التى بها كتب اسم "ماعت"، جاءت على شكل نفس القاعدة أو المنصة  التى عليها كانت توضع تماثيل أو مقاصير الأرباب، وذلك فى إشارة إلى أنهم أهل الماعت، والذين يقومون على الحق. كما وأن جبانة طيبة الغربية (بالأقصر) كان يطلق عليها منذ الدولة الحديثة: "ست ــ ماعت"، وبما يعنى حرفيًا بالعربية "رحاب

الحق" أو "دار الحق"، الأمر الذى يتطابق مع ما تُسمى به الجبانات حتى يومنا هذا.

ويعجب المرء أن ربة بمكانة وأهمية "ماعت" لم يُعثر لها إلا على عدد قليل من المعابد أو المقاصير، لعل أقدمها حتى الآن هو ما بناه الملك أمنحتب الثالث (الأسرة الثامنة عشرة) فى رحاب معبد "مونتو"، فى شمالى معابد الكرنك.

وكان معبد دير المدينة الذى كُرس لها وللربة "حتحور" مندمجةً معها، والذى بناه الملوك البطالمة، هو أشهرها جميعًا.

ولعله أن يكون من المفيد أن نتتبع فى عجالة مدى تغلغل فكرة الماعت وفلسفتها فى حياة المصرى القديم، وذلك من خلال ترجمة دقيقة لبعض النصوص التى وردت على لسان بعض الحكماء، أو رجال الدولة، أو الملوك، إلى جانب بعض عبارات جاءت على لسان "القروى الفصيح"، الذى أراد أن ينتزع حقه الضائع ببث شكواه فى تسع مداخلات (فى شكل مرافعات) بليغة.

وبداية، نود التنويه إلى أن القوم كانوا قد تصوروا أن أرض مصر قد مرت فى الزمن السحيق (عصور ما قبل الأسرات) بحقبة نورانية كلها اليُمْن والخير والرخاء، فيها كان البشر يعيشون فى رحاب حكم أسرة الملوك الآلهة، التى بدأت برب الشمس وسيد الوجود "آتوم/ رع"، فكانت الحياة نعيمًا ونورًا أبديًا، بلا ظلام أو ليل، وبدون موت أو عالم آخر، وبعيدًا عن كل جور أو ظلمٍ أو غبن، وذلك كله لأن "ماعت" وقواعدها كانت هى التى تطبق فى الأرض آنذاك. ولما أن تغير الأمر، وصار المُلْك إلى الملوك الفراعنة، فإنهم راعوا تطبيق "ماعت" ما استطاعوا، إلا أن ذلك كان أمرًا عسير التحقيق، وذلك لأن

البشر ينزعون دائمًا إلى كسر قواعد الماعت، برغم أنهم كانوا على علم تام بأن عالم الآخرة لا تكون فيه حياة سعيدة خالدة بدونها، ولا يعيش فى "حقول إيارو" (= جنات النعيم) إلا من عمل بالحق والخير فى حياته الأولى.

من أجل ذلك نجد الحكيم "بتاح حتب" يقرر فى وضوح: "إن الذى يفعل الماعت، فذلك الذى يكون بعيدًا عن الضلال". وفى موضع آخر نراه ينبه ويحذر من مغبة البعد عن الماعت: "يحل العقاب دائمًا بالذى يتخطى قواعدها (المقصود: الذى يتعدى حدود الماعت !)". ويتيه الملك المتوفَّى كما جاء فى متون الأهرام (Pyr. 265)، بأنه "الذى يضع الماعت فى مكان (بمعنى: بدلاً من) الباطل". وفى النص الذى يشير إلى الإصلاحات التى أحدثها الملك "توت ــ عنخ ــ آمون"، من بعد عودته إلى حظيرة آمون (رب الكرنك وملك الآلهة!)، وبعد تخليه عن ديانة إخناتون التى أحدثت بلبلة واضطرابًا بين عامة الناس، فإننا نسمع الآتى عن صنيع الملك المصلح: "لقد أزاح الفوضى (=غياب الحق وسوء النظام ) عن الأرضين (=الصعيد والدلتا)؛ حتى تكون "ماعت" هى الباقية".

وفى واحدة من الحِكَم الخالدة التى وجهها الملك الإهناسى لابنه "مريكارع" وهو يعظه: "افعل الحق (= ماعت) لكى تخلد فى الأرض".

ويقول أحد المحافظين فى سيرة حياته: "لقد كنت أقول الحق وأحكم بين الناس بالعدل". وفى نصائحه التى تنم عن خبرة واسعة، يقول أحد حكماء العصور المتأخرة: "إن رخاء المدينة يتوقف على سيد (المقصود: أمير أو حاكم أو محافظ) عليها يُحِق الحق". وكانت مقولته القاطعة الفاصلة قد جاءت قبل ذلك

بالقاعدة الأخرى التالية: "**عندما يحل غضب رع (الإله الأكبر الخالق وسيد الكون) ببلد، فإنه يجعل فيه الماعت معطلة (بمعنى متوقفة ولا تطبق قواعدها)**".

وعلى لوحة لموظف يدعى"بكى"، عاش فى أوائل الدولة الحديثة، نسمع قوله: "إنه قد أسعدنى أن أنطق (دائمًا) بالحق، وذلك أننى قد عرفت أنها (الماعت) هى المنجية لمن يطبقها (حرفيًا: يعمل بها) على الأرض (فى هذه الحياة الدنيا)، وإلى حين الوفاة". من هنا نجد أن بعض رجالات الدولة يتيهون فى سيرة حياتهم المدونة على لوحاتهم، عندما يسجل الواحد منهم أنه كان" الذى يملأ أُذنَى الحورس (المقصود هنا هو فرعون) بالماعت"، أى أنه كان لا يهمس ولا ينطق إلا بكل ما هو حق وصدق. وبالقطع، فلقد كان كل هؤلاء على علم تام بالحكمة المصرية الشائعة والقائلة: "إن الإله يمقت الذى ينطق ببهتان".

وفى واحدة من الترانيم الرفيعة التى فيها يبجل الفرعون رب الشمس "رع"، نعرف بما لا يدع مجالاً للشك، أن الماعت هى أساس كل شيء طيب، وهى الكمال والجمال، ومصدر النور (=الخير)، وطاردة الظلام (= الشر)، وفى ذلك يقول الفرعون مناجيًا ربه:

"يا رع! يا سيد الماعت ! يا رع، الذى يعيش على الماعت! يا رع ، الذى يبتهج بالماعت! يارع، الذى يحب الماعت ! يارع، الذى يتحد مع الماعت! إننى قد أتيت إليك، إننى أُحْضِر لك الماعت، إنك تعيش عليها، إنك تبتهج بها، إنك تتغذى منها، إنك قوى بها، إنك دائم (= خالد) بواسطتها، إنك سليم بسببها، إنك تزين نفسك بها، إنك تشرق معها، إنك تنير بها، إنك تغرب معها، إنها ترتبط (=تلتصق ) بمحياك (على هيئة ثعبان الكوبرا !)، إنها تندمج معك، إنها تطرح أعداءك

أرضًا، منشرحًا يكون قلبك عندما تراهـــا، إن رفاقــك الآلهـــة يهللون عندما يرون الماعت فى معيتك".

هكذا نجد الإله الخالق "رع" لا يعـــيش فـــى معـــزل عـــن الماعت، حتى إن المرء ليحسب أنهما قد صارا شيئًا واحدًا. وفى هذا السياق، فلعله أن يكون منسجمًا ومتطابقًا مع ما ســـبق، أن نورد ما سجلته الملكة حتشبسوت على جدران مقصورتها فـــى إصطبل عنتر (عند بنى حسن ــ محافظة المنيا)، عندما أكدت: "لقد عظمت الماعت المحببة لديه (المقصود هو "آمـــون ـــ رع" سيد الآلهة)، وذلك لأننى أعرف أنه يعيش عليها". كما وأن أحد المناظر فى معبد الأقصر يُظْهر الملك رمسيس الثانى وهو يقدم علامة "ماعت" لأبيه الإله "آمون ــ رع"، وهنا يـــذكر الـــنص المصاحب :"....، وذلك أنه (أى الملك) يعرف أنه (أى آمون ـــ رع ) سوف يسعد بها".

وأخيرًا، نود أن ننهى هـــذه المجموعـــة مـــن المقتطفـــات والمعلومات عن أمة عاشت فى كنف الماعت، بأن نورد بعـــضًا من كلمات "القروى الفصيح"، والتى فيها تبيان وتبصرة بفـــضل الماعت ومدى أهميتها فى حياة الناس على الأرض. وكان هـــذا القروى الفصيح، الذى جاءت الحكمة واضحة جلية فى كلماتـــه لتكون بمثابة بلاغ لأولى الأمر، قد أرسى قاعدة عامة لكل مـــن أراد أن يسلك طريق الحق والصواب، فنجده يقرر: "إن الـــذى يتخفف من البهتان (=الباطل)، فذلك الذى يُؤْثِر الماعت، والذى يرعى (فعل) الخير، فذلك الذى يبدد الشر" (الشكوى الـــسادسة). وفى شكواه الثالثة كان قد نبه: **"إن صـــلاح الأرض (= البلـــد) ينحصر فى تطبيق الماعت"**. وفى شكواه السادسة، والتى توجـــه بها ــ كما فى كل المرات السابقة واللاحقة ــ إلى ناظر الخاصة الملكية، وكان يُدعى "رنسى بن مرو"، يسجل صاحبنا بكلماتـــه

للموجعة الهادفة الحقائق التالية محذرًا وناصحًا: "والآن انظر حولك (لترى بنفسك): إن الذى يفصل بين الناس (=القاضى) أصبح الآن مفسدًا، والمصلح هو الذى يُحْدث الحزن، والذى يرجى منه إشاعة السكينة يصير هو الذى يصنع المرارة. وبناء عليه، فإن الذى يَغُش يكون هو (فعلاً) الذى يُعَوِّق الماعت. أَوفِ مقسطًا الكيل حتى يكون (تطبيق) الماعت بغير تفريط أو إفراط". وكان الحكيم "بتاح حتب" قد نصح من قبل قائلاً: "تمسك بالماعت، ولكن فى غير مبالغة فيها". وفى نهاية الشكوى الثامنة يقول القروى لناظر الخاصة الملكية :

"قل الحق "ماعت"، وافعل الحق "ماعت"، وذلك أنها (أى الماعت) عظيمة ورائعة وباقية، كما وأن فضلها سوف يكون محققًا (=سوف يعود عليك بالخير)، وهى تهدى إلى مرتبة التبجيل (=منزلة أصحاب البركة والنعمة)".

## تقديم المترجم

يتحدث هذا الكتاب عن علم المصريات وتاريخ القانون وفلسفة القانون وتاريخ الأديان.

أصبح من العسير حصر فكرة العدالة عند قدماء المصريين وتحديدها؛ لأن المتخصصين فى هذا المجال أسقطوا معلوماتهم القانونية والدينية والفلسفية الحديثة على مجال الفكر الذى كان سائداً فى مصر القديمة. فلم يكن لديهم قوانين مكتوبة مثلما كان يوجد لدى الرومان، كما اختلفت فكرة العدالة عن تلك التى تعودنا عليها فى عالمنا التقليدى.

من خلال دراسة مفهوم مَاعِتْ فى الحضارة المصرية القديمة، أمكن استخلاص فكرة العدالة. ولذا كان مفهوم العدالة فى مصر القديمة هو المفهوم الأصيل الذى يهدف إلى تطوير الحياة ونموها والعمل على زيادة الوفرة والسعادة. وكان

الإنسان ــ كما يعيش ــ جزءاً لا يتجزأ من الكون، وكأية مادة حية، لديه القدرة على اجتذاب الطاقة عن طريق الكلام.

ترجم علماء الآثار المصرية مَاعِتْ بأنها إلهة الحقيقة والعدالة، وأنها تصوُّر ومفهوم ظل غامضاً رغم وفرة الآثار التى تحدثت عنها.

إن المكانة الرئيسية لمفهوم مَاعِتْ فى الحضارة المصرية القديمة، تثبت أن الكهنة فى مصر القديمة كانوا على دراسة متعمقة بفضائل الطاقة الشمسية وبمنوال الحياة والموت. كما كان المصريون متقدمين فى الفيزياء. وذكر كليمانت السكندرى أن المصريين لا يكشفون أسرارهم لأى شخص ولا يعطون معلوماتهم عن الأشياء المقدسة إلى غير المتعلمين، وإنما فقط للذين يصلون إلى العرش أو الكهنة المميزين فقط بالعلم والعلوم والنَّسب والأصل.

ولكى ندرك مفهوم العدالة فى مصر القديمة، علينا أن نضعها فى السياق النفسى لهذا الشعب وأن نلقى نظرة على الرسومات الرمزية، دون أن نسقط المفاهيم الغربية الحديثة عليها. ورغم أن مَاعِتْ تشكل مع القلب الركيزة الأساسية، فإنها ليست العدالة. ومع ذلك، فهى مرتبطة بها ارتباطاً حتى إن أجيالاً من علماء الآثار المصرية ترجموها بالتعبير "الحقيقة - العدالة".

فالعدالة عند قدماء المصريين عبارة عن عملية حيوية الغرض منها إقامة أو إعادة إقامة دورة متناسقة من الطاقة، عن طريق التوازن بين المادة وبين ما هو غير مادى. ويتمثل إيجاد العدالة فى جعل كل من كفَّتى الميزان "أفقية"، "مستقيمة" أو أيضاً

ثابتة ومستقرة". وتوضح الرسومات المصاحبة للنص أن قلب الإنسان المُتوفَّى يُعتبر مركز الذكاء والإرادة، وهو الذى يعطى الحياة لبقية الجسم.

كما اختلفت نظرة هؤلاء الغربيين إلى الديانة المصرية لأنها لم تكن قائمة على نصوص معنوية، بل كانت قائمة على ممارسة الحياة اليومية بشكل مادى.

وقد ذكَرت المؤلفة هنا مساهمة جديرة بالملاحظة، سواء فى علم المصريات أو فى التاريخ وفلسفة القانون. لقد أضاءت مَاعِتْ معالم حضارة وادى النيل. وبسبب خطأ فى فهم العدالة التى نادت بها، فإننا لم ندرك المغزى الحقيقى للحكمة التى جاءت بها.

محمد رفعت عواد

القاهرة

تمهيد

## مصر: عالم يتجه نحو العدالة

تدل آثار الحضارة المصرية القديمة بكل وضوح على مدى اهتمام قدماء المصريين بالعدالة. فقد كانت حضارة على النقيض من حضارتنا فى هذا الصدد؛ حيث كانت تهتم كثيراً بالعدالة بينما كان اهتمامها نادراً بالقانون. فلم يتركوا لنا تراثاً لمجموعة قوانين مثلما فعل الرومان[1].

وفى الواقع، فإنه من الصعب الحصول على آثار لنصوص قانونية فى مصر القديمة؛ فلم نجد سوى بعض نصوص من العصر المتأخر اعتبرها علماء المصريات بمثابة أول معاهدة للقانون الدولى[2] وصلت إلينا. ومع ذلك، فإن موضوع العدالة يوجد فى أقل أمور الحياة اليومية شأناً. فمعظم النصوص والنقوش الهيروغليفية تتحدث عن العدالة وتهتم ليس فقط بالحياة الدنيوية، بل أيضاً لما بعد الممات. ومن هذا

المنطلق، فإنه رغم وجود كتاب بعنوان: "مفهوم القانون عند قدماء المصريين" تأليف جوزيف صرّاف Sarraf، فقد اقتصر على ذكر أهمية العدالة فى مصر القديمة وأشار إلى ندرة النصوص القانونية البحتة بها[٣]. كما أن جميع النصوص المتعلقة بالحكمة ترشدنا إلى ضرورة الالتزام بتعاليم مَاعِتْ، وهو التصور الذى ترجمه علماء المصريات بأنها إلهة الحقيقة - العدل، وأن كتب الموتى لقدماء المصريين تعلمنا أنه تتم محاكمة المتوفى[٤] لحظة وفاته بمقياس العدالة، حيث يوضع قلب المتوفى على ميزان مَاعِتْ. يتم تصوير هذا المرور عبر الميزان فى صور توضيحية رُسمت بجانب بعض نصوص كتاب الموتى فى برديات جنائزية عديدة. فالباب الذى ينبغى المرور منه نحو العالم الآخر، يكمن فى ميزان مَاعِتْ Maat؛ ومن السهل أن نفهم إلى أية درجة كان مفهوم العدالة عند قدماء المصريين يشكل المحور المركزى لهذه الحضارة التى اندثرت هذه الأيام، والتى كانت تهتم بقدر كبير بالحياة بعد الموت "البعث". ولذا، فمن غير المستغرب أن مَاعِتْ إلهة "الحقيقة ــ العدالة" موجودة فى كل مكان، وتظهر فى أغلب النصوص التى تم العثور عليها، وهى نصوص كلها حكمة، ويتضح ذلك فى البرديات الجنائزية أو النقوش الهيروغليفية التى وجدت على جدران المعابد. لقد تم تجميع المعلومات عن مَاعِتْ ليس فقط من خلال ترجمة النصوص الهيروغليفية، بل أيضاً من الصور والرسومات: إن مَاعِتْ لهى الإلهة ذات الريشة البيضاء، وهى أيضاً التى تمسك علامة عنخ (Ankh) رمز الحياة.

ومن خلال الآثار المتبقية للحضارة المصرية القديمة، يمكن القول بأن الحياة المصرية بالكامل تديرها مَاعِتْ. ففى

مجتمع كهذا، لا يوجد ثمة خلاف بين العدالة الإلهيـــة والعدالـــة البشرية. فالإنسان العادل فى الحياة الدنيا هـــو أيـــضاً الإنـــسان العادل فى الحياة الأخرى، ويُكافَأ بالحياة الوفيرة ورَغَد العـــيش فى الحياة الدنيا والآخرة. فمصر لكونها هبـــة النيـــل[٥] تتميـــز برخاء مادى لم يقف حجر عثرة أمام اندفاعها نحو مجتمع مثالى تسوده العدالة.

ولكن هذا التصور عن العدالة يختلف بدرجة كبيرة عـــن مفهومنا الحالى؛ حيث إن علماء المصريات ومؤرخى الأديان لم ينجحوا فى سبر غور أسرار مَاعِتْ.

## الفصل الأول

# العدالة المصرية
# من خلال علم المصريات
# وتاريخ الأديان

القسم الأول

# مَاعتْ إلـهة العدالـة[١]

## غذاء الآلهة والبشر

اعتمد كثير من المؤلفين على النـصوص التـى حَلَّـت رموزها وعلى مناظر تقديم مَاعتْ فـى المعابـد حيـث يـتم تصويرها كابنة إله الشمس[٢] رَع وكأمه[٣]، وأيضاً مرضـعته، وهى أيضًا الغذاء اللازم لجميع الآلهة[٤]. وقد قدم چـان كلـود جويو Goyon مَاعتْ فى كتابه "ماعت وفرعون أو مصير مصر القديمة" على أنها ابنة رع إله الشمس وحياته"[٥].

وقد كتب ألكسندر موريه Moret أنه أثناء طقـس تقـديم مَاعِتْ "يقوم المحتفل بالقداس بتعريف مَاعِتْ على أنها: الابنـة والجسد والروح والزينة والملبس والغذاء والشراب للإله والهواء الذى نتنفسه فيبعث فينا الحياة"[٦].

أجمع علماء المصريات ومؤرخو الأديان على أن يذكروا مكانة مَاعتْ الرئيسية فى الفكر المصرى القديم. وفى الواقـع، فإن مَاعِتْ كانت الموضوع الأكثر أهمية بالنسبة للطقوس الدينية وتبادلها بين فرعون والشمس والتـى سـاعدت مَاعِـتْ علـى

الصعود نحو أبيها "الشمس"، أى ترد إلى الشمس الضوء الذى أعطته لتمكّن العلماء من العطاء الضوئى لها بصورة دائمة. وقد دُرست مؤخراً هذه الشعائر الخاصة بالتبادل بين فرعون والشمس.

وقد قامت مؤخراً إميلى تيتر Teeter[٧] بدراسة شاملة عن علاقة التطابق بين فرعون والشمس فى كتاب بعنوان: "تقديم مَاعِتْ: الشعائر والأمور الشرعية فى مصر القديمة" (The presentation of Maat, Ritual and legitimacy in ancient Egypt.)؛ ومن خلال اهتمامها الكبير بالملاحظات التى وجدت فى المعابد عن منظر تقديم ماعت بواسطة فرعون أو الملك، أوضحت المؤلفة بشكل خاص أن مَاعِتْ ظهرت فى هذه المشاهد كغذاء للشمس[٨] وأيضاً كغذاء لجميع الآلهة.

ولكن ما المعنى المقصود بالضبط بأن مَاعِتْ اصطلاح يُترجم غالباً بـ "الحق ـ العدالة"؟ ما معنى أن مَاعِتْ نُقشت على جدران المقابر أو فى الصور التوضيحية المرسومة بجانب بعض نصوص كتاب الموتى أو فى بعض البرديات؛ على هيئة إلهة تحمل فوق رأسها ريشة بيضاء؟

ومن المحتمل أن تكون قد نُقشت بلا اكتراث بريشة بيضاء فقط أو بتمثال صغير يُظْهرها فى وضع الجلوس وتحمل على ركبتيها علامة الحياة "عنخ" (Ankh)[٩]، وهو رمز الحياة بالنسبة لقدماء المصريين[١٠]. وقد عرّفها چان كلود جويو Goyon فى العبارات التالية:

"يجسد التمثال الصغير ورسمه تصوُّراً وفكراً وهو النظام الكونى الذى تنبع منه جميع الفضائل ومفهوم النظام الصحيح

للبشرية: الحقيقة، العدالة، التوازن. كما أن مَاعتْ هى التجلى الملهم لهبة الحياة المتجددة"[١١].

ومن خلال هذا التعريف يسجل المؤلف فى نهاية المطاف الفكر الذى طور المفهوم الأخلاقى إلى إدراك صدًى عالمى (كونى) لمَاعتْ والذى سوف ندرسه.

## القسم الثانى

## من مَاعِت ذات الطابع الأخلاقى إلى مَاعِتْ ذات الطابع الكونى: تطور الأفكار فى علم المصريات وفى تاريخ الديانات

من خلال الوثائق المكتوبة التى تم العثور عليها معظم الوقت فى المقابر أو فى المعابد، وعند فك رموز النقوش المحفورة فى الحجر، أدرك علماء المصريات بعقولهم الفكرة التى تكونت عن مَاعِتْ والتى استُخدمت اصطلاحات غامضة عند ترجمتها، مثل "الحقيقة ــ العدل" أو "النظام".

وقد قامت ميريام ليشتهايم Lichtheim بإعداد مجموعة نصوص تتعلق بمَاعِتْ ومصحوبة بتعليقات فى كتابها: "Maat in Egyptian autobiographies and related studies" مَاعِتْ من السير الذاتية المصرية والدراسات المرتبطة بها[١٢].

وقد أثارت مَاعِتْ اهتمام علماء المصريات ومؤرخى الأديان؛ حيث إنها تمثل الأفكار الرئيسية للعالم المصرى القديم[١٣]. فقد قاموا بدراسات متعمقة دون أن يؤدى ذلك إلى حدوث إدراك حسى محدد ومتجانس لمبدأ العدالة فى مصر

القديمة. وفى الواقع، فإنهم يعتبرون أن الصورة غير واضحة عند الاقتراب من مَاعِتْ؛ لأنه يجب توافر تصوُّر صعب جداً يتم بموجبه محاصرة العقول والأفكار الحديثة، مع وجود فهم لهذه الفكرة لاستقراء القدرة على تحمل نظرة محايدة على عالم مصر القديمة ومرونة ذهنية كافية؛ لتجنب إسقاط أفكارنا الحديثة واستدلالنا المنطقى على هذا العالم الذى يُعتبر غريباً عنا. وفى البداية، لم يلجأ علم المصريات إلى الهروب للمجال العقلى الذى ساد فى القرن التاسع عشر والذى تميز حتماً بنظريات التطور أو بالمنطق العلمى. وقد انتقد هنرى فرانكفورت Frankfort هذه النظرية بشدة ودعا إلى محاولة التفكير بنفس الطريقة التى كان قدماء المصريين يفكرون بها لنتمكن من فهم رسالتهم؛ وبصفة خاصة لكى نستوعب جوهر فكر مَاعِتْ(١٤).

وقد عمل التيار الفكرى على وجود حاجز على مَاعِتْ فيما يتعلق بمفاهيمنا الحالية عن العدالة واعتبرها مفهوماً أخلاقيًا(١٥) بحتاً، مثلما افترضت نصوص الاعترافات الإنكارية التى عُثر عليها فى المقابر وتم تجاوزها هذه الأيام بدرجة كبيرة، أو تم تجميعها فى تصور عالمى لفكر مَاعِتْ.

وفى رأى عالم المصريات يان أسمن Assmann(١٦) وكذلك فيليب درشان Derchain، فإن الفضل يرجع لكلاس چوكو بليكر Bleeker عالم المصريات الهولندى؛ حيث تمكن من توسيع أفق علم المصريات وتاريخ الأديان حوالى عام ١٩٢٩ نحو تصور شامل وعالمى لمَاعِتْ. ولكى يتم الوصول إلى هذا التصور، قام بليكر ببساطة بتغيير وجهة النظر التى كانت سائدة، فألف كتاباً بالهولندية تناول فيه فكر مَاعِتْ(١٧) بصورة محددة. ولم تتم ترجمة هذا الكتاب إلى لغات أخرى، إلا أننا

تمكنًا من الوصول إلى محتوياته عن طريق علماء مصريات آخرين ومؤرخى أديان، إلا أنه لحسن الحظ، أعد بليكر كتاباً آخر باللغة الإنجليزية وطُبع عام ١٩٦٧[١٨] وعرض فيه نظرية مَاعِتْ وطريقة العمل التى أتاحت له فرصة الوصول إلى أفضل مفهوم استيعابى للعالم الذى كانت تعيش فيه مصر القديمة. وقد وجه بليكر اللوم لمن سبقوه ولمعاصريه[١٩]؛ لتبنيهم وجهة نظر حديثة و"أوروبية" لاستثمار الديانة المصرية بالبحث فى النصوص المصرية عن "مذهب دينى"، وحسب رأيه، لم يتمكن من إيجاده طالما سلّم بأن العقلية المصرية لم تكن قد اتجهت نحو المعانى التجريدية أو العقائد. كما انتقد الاهتمام المفرط والحَصْرى للأساطير والخرافات التى عبر عنها عدد كبير من الباحثين[٢٠]. فقد شرح لنا أنه حتى أسطورة أوزيريس لم تكن قد قُدمت بصورة منهجية عن طريق المصريين أنفسهم، وأننا يجب أن ننسب القصة بأكملها إلى المؤلف الإغريقى بلوتارك[٢١]: ذلك أن روح التنظيم المرتبط[٢٢] باستدلال منطقى واستنباطى لم تكن إحدى سمات الفكر المصرى. وعلى هذا، فلم يكن المصرى القديم عقلانياً بالمعنى الحديث ولا قَدَرياً، بل جُبل على تفاؤل صلب وواقعى وطبيعى يمنحه الاقتناع بشخصية مَاعِت الثابتة.

واقترح كلاس چوكو بليكر Bleeker لكى نفهم الديانة المصرية بصورة أفضل، والتى تتضمن بالتأكيد فى ثناياها أفكار مَاعِت، أن نهتم أكثر بالطقوس والشعائر بدلاً من التركيز فقط على النصوص مثلما نفعل فى الأديان الأوروبية الحديثة؛ خصوصاً وأن النصوص المصرية التى عثر عليها علماء المصريات وترجموها، تصور الديانة الرسمية وليست كافة المعتقدات والعبادات[٢٣] التى يمارسها الشعب المصرى؛ لأنها تختلف فى

رأى المؤلف بدرجة كبيرة عن الديانة الرسمية. وبفضل هذا التقريب الكبير الذى يركز على أن الشعائر والطقوس عبارة عن أعمال ملموسة ومحددة منها أن القربان الذى يُقدم لمَاعِتْ يُعتبر من أهم تلك الشعائر، وهى أعمال من الحياة العملية قام المصريون باستخدامها كمعتقدات دينية[٢٤]. وبذلك نجح بليكر Bleeker فى نشر الجانب الكونى لمَاعِتْ، والحقيقة أن الكل متحد ومتكامل:

نظام اجتماعى ونظام كونى سواء فى الإنسان بوصفه صورة مصغرة عن العالم، أو العالم الكبير الذى يشمل الكون[٢٥]. وقام بتعريف مَاعِتْ فى العبارات التالية:

"مَاعِتْ هى فى الوقت نفسه فكرة عامة وإلهة. كفكرة عامة، فإنها تصور الحقيقة والعدالة والنظام الاجتماعى؛ وهناك ثلاث قيم أخلاقية تثبت أنها قائمة على النظام الكونى"[٢٦].

وقد استعرض فى كتابه عن مَاعِتْ[٢٧] أفكارها التى سوف تُستخدم كمرجع لعدد كبير من مؤرخى الأديان وعلماء المصريات. ومن بين هؤلاء نجد إيرين شيرونجروماخ Erene Shirungrumach[٢٨] التى تعتمد على أعمال بليكر، حيث تشير إلى الرمزية الكونية المصرية والريشة شعار مَاعِتْ والتى ترمز إلى النور. وارتكز يان أسمن Jan Assmann أيضاً على البعد الكونى لمَاعِتْ مع الأخذ بعين الاعتبار ما قام به بليكر من التعمق فى الجانب الكونى لمَاعِتْ واستخرج منها صفات ونتائج أخرى عديدة، وذلك بفضل الحد الذى استخدمه حيث استلزم الأمر تغيير وجهة النظر وطريقة العمل واتساع مجال البحوث المرتبطة بدرجة كبيرة من الملاحظة؛ لإتاحة الفرصة للمزيد من التقدم فى مجال فهم المعرفة عن مَاعِتْ فى علم المصريات.

وكان من الممكن أن ينطلق بعيداً لو اتجه حتى النهاية فى النقد الذى وجهه إلى الباحثين. وللعلم، فقد وجَّه إليهم اللوم على تبنّيهم وجهة النظر الأوروبية الحديثة؛ خاصة تلك القائمة على نصوص وتعاليم عقائدية لمحاولة فهم الديانة المصرية. وكان يجب السير فى هذا المجال حتى النهاية فيما يتعلق بالنقد الموجه لفكرة مَاعِتْ. إلا أن هذا العمل لم يكن يتسم بدوافع إنسانية عندما نطلب من أحد مؤرخى الأديان التراجع والانفصال الكافيين لكى يعرف أنه كان ينبغى، لكى يدرك أفكار مَاعِتْ فى مصر، أن ينسى تماماً الزاوية التى اتجه إليها عند التحدث عن تاريخ الأديان(٢٩).

بدأ مؤلفون آخرون بعد ذلك فى إدراك أن مَاعِتْ لم تكن فكرة دينية بالمعنى الذى نفهمه هذه الأيام لكلمة "متدين"، وهو اصطلاح يتطلب الإيمان بشىء ما غير واضح ولا يمكن التحقق منه. كانت فكرتنا عن الديانة تبدو غريبة عن الفكر المصرى القديم الذى يعتمد على أشياء ملموسة. وقد ذكر فيليب درشان Philippe Derchain مثلاً أن فكرة النظام المرتبطة بمَاعِتْ لا تعنى بالنسبة للمصرى القديم فكراً تجريدياً؛ بل نظام مادى ملموس صادر عن علاقة قُوى(٣٠).

أما فيما يتعلق بمَاعِتْ، فليس المهم أن نؤمن بها أو لا نؤمن وإنما المهم أن نستخدمها ونُجْرى عليها التجارب من خلال نتائج السلوك المطابق أو غير المطابق لمَاعِتْ، كما نادت النصوص بحكمة المصريين(٣١).

وقد كتب بليكر يقول إنه رغم الخلاف مع التقاليد الدينية الغربية القائمة على نصوص، فإن الديانة المصرية كانت قائمة

على الطبيعة[٣٢]. وبالطريقة نفسها، كان قد استنبط من الملاحظة الجديرة بالانتباه لطقوس قدماء المصريين وشعائرهم أنها كانت جميعاً مخصصة إلى تجديد الطاقة[٣٣]، والذى يُعتبر فى النهايــة هدفًا ملموسًا جداً ونفعياً جداً. ويتفق فى ذلك مع عالم المصريات ألكسندر موريه Moret الذى كان منذ فترة طويلة قد حدد هدف دورة الطاقة الكونية والمرتبطة بأفكار مَاعِتْ؛ وذلك من خــلال طقس تقديم ماعت وهو عبارة عن "صــعود مَاعــتْ". فكانــت مَاعتْ عاملاً أساسياً فى دورة الطاقة الكونية وفى المحافظة على التوازن بين العالم الصغير وهو الإنسان، والعالم الأكبــر وهــو الكون حيث لم يظهر كمفهوم دينى.

كذلك تراجع مؤرخ الأديان هنرى فرانكفورت Frankfort بدرجة كبيرة بالنسبة للإدراك الدينى الحديث للحضارة المصرية القديمة، ووعد من جانبه بتجاوز التقريب التطــورى أو العقلــى والمنطقى ليشير إلى طابع خلق[٣٤] الأساطير الذى تميزت بــه العقلية المصرية القديمة، والدخول فى أعماق جوهر مصر فــى العصور القديمة. وقد شرح فى كتابه: "تفسير الديانة المــصرية" (Ancient Egyptian Religion, an interpretation)[٣٥] أن العقلية المصرية كانت بعيدة تماماً عن العقلية الغربيــة المعاصــرة[٣٦] وأن أفكاراً كثيرة ومفاهيم أو كلمات مصرية كانت تبدو غامضة ليس بسبب غموض المصادر المصرية، وإنما لأننا أمام حالــة فكرية تختلف عن حالتنا. فالمصرى القديم لم يكــن عقلانيــاً أو يعمل على إيجاد نظريات منطقية وذهنية، وإنما كان يثبت أنــه يتمتع بحدس كبير مرتبط بمعنى مادى وملموس[٣٧]. وحسب ما جاء فى مصطلحات المؤلف، أنه كــان لديــه خيــال خــصب وغزير[٣٨]. وقد أشار المؤلف إلى، كيف أن اقترابنا من العــالم

المادى الشديد منعنا من فهم معنى قربان التغذية الذى كان يقدمه قدماء المصريين للآلهة أو الموتى.

عمل المصريون على تقريب المسافة بين العالم المادى والعالم غير المادى للأشياء، وكان من الصعب علينا جداً أن نستوعب بأفكارنا الحديثة أن المصريين كانوا يقدمون للآلهة الجزء غير المادى من التغذية(٣٩): طاقة "الكا" (Ka). أما فيما يتعلق بأفكار مَاعِتْ ونتيجة لذلك، اعتبر المؤلف أنه لو كان هذا المفهوم صعباً على الترجمة إلى لغتنا الحديثة؛ فلأنه يتطابق مع إدراك غير معروف لدينا وغريب عنا(٤٠)، وهذا هو السبب فى أنه كان علينا إيجاد مصطلحات عديدة لترجمة هذا المفهوم المصرى الذى كان يُمثل كوحدة واحدة ويعكس التكامل بين النظام الكونى والنظام الاجتماعى(٤١). وهو تكامل غريب عنا تماماً. كانت مَاعِتْ بالنسبة للمؤلف تمثل فى الوقت نفسه الجانب الأخلاقى وجانب العدالة، سواء البشرية أو الإلهية أو الكونية. وقد كتب يقول: "تنقصنا كلمات للتعبير بها عن مفاهيم وأفكار مَاعِتْ التى تحوى معانى أخلاقية وميتافيزيقية فى الوقت نفسه. ويجب علينا أن نترجمها أحياناً بالتسلسل والترتيب وأحياناً بدافع "الحقيقة" وفى أحيان أخرى بسبب "العدالة"، كما أن نقيض مَاعِتْ كان يطلق على الحقيقة نفسها التراجم: وبهذه الطريقة اضطررنا إلى اللجوء إلى الترجمة المستحيلة للأفكار المصرية القديمة إلى اللغة الحديثة. وهذا يوضح أن التمييز الذى لا يمكننا تجنُّبه لم يوجد بالنسبة للمصريين(٤٢).

وفى إطار البعد الكونى، فقد أدارت مَاعِتْ نظام العالم، إلا أن كلمة "نظام" هنا أيضاً لا يجب أن تُفهم بالمعنى الحديث للكلمة، بل تعنى شيئاً آخر لا يمتُّ بصلة لعالم الفكر الحديث —

حسب رأى فرانكفورت، بل إن لفظ "قانون.. أو حقوق"[٤٣] لا يحمل إطلاقاً نفس المعنى المتعارف عليه حديثاً. فأن تكون عادلاً لا تحمل أية دلالة غير مباشرة للأخلاق أو الآداب العامة. بل إن المصريين القدماء إذا وصفوا بتصرفات سيئة، فإنهم لا يعتبرون السلوك النسبى خطايا يندم عليها الإنسان. فكانت الأعمال المُشينة تُعتبر ضلالاً وانحرافاً عن السلوك البشرى بحيث تمنع الإنسان من الشعور بالسعادة؛ لأنها تؤدى إلى عدم التناسق أو التوافق مع نظام مَاعِتْ[٤٤]. فالكبرياء مثلاً كان يُنظر إليها على أنها فقدان الإحساس والشعور بالمسئولية على غرار المفهوم الإغريقى (Hybris)[٤٥]، بل كان من المفيد للمصرى القديم أن يتفهم قوانين مَاعِتْ وأن يصحح سلوكه بالتالى وأن يندم على ارتكاب خطيئة دون أن يفهم شيئاً عن سياق أفكار مَاعِتْ[٤٦].

وعندما تعمق المؤلف فى الآداب الخاصة بالموتى، أشار إلى أن هذه الآداب تميزت أكثر فأكثر بالخوف من الموت أو يوم الحساب فى العالم الآخر[٤٧]، وأنها خلقت عقبات عديدة فى طريق الميت نحو العالم الآخر بحيث لا تتفق والحكمة المصرية الحقيقية التى تظهر أكثر فأكثر من خلال النصوص الأكثر قِدَماً. وقد ذكر المؤلف أن عقلية المصرى القديم لم تكن تعطى فكرة المحاكمة نفس المعنى الأخلاقى أو الآداب العامة مثلما هى فى الكتب المقدسة كالتوراة[٤٨]. وعند إجرائه مقارنة واضحة، انتقد المؤلفين الذين استندوا على الآداب الخاصة بكتاب الموتى؛ حيث اعتقدوا أنه يُدرك من خلال مواضيع أخلاقية أو الآداب العامة المصرية[٤٩]. ولذا يقول فرانكفورت إن ذلك كان يؤدى إلى إنقاص معلوماتنا مثل الذى يريد دراسة علم الفلك فيكتفى بدراسة

"حظك اليوم" أو استطلاع النجوم الموجود في الصحافة[٥٠]. وعلى النقيض من ذلك، فإن عدداً كبيراً من النصوص المصرية تثبت أن الأفكار المتعلقة بالخطايا الأخلاقية أو تلك الخاصة بالآداب العامة لم تكن إطلاقاً في دائرة انشغال المصريين بها، بل كانت موجهة نحو التناسق والتناغم المادى جداً والملموس مع النظام الكونى الذى أقامته مَاعِتْ، سواء للفرد أو للمجتمع[٥١].

وأخيراً جاء يان أسمَنْ Assmann عالم المصريات الذى ندين له بالدراسة الحديثة المتعمقة عن أفكار مَاعِتْ[٥٢]. فقد أشار المؤلف إلى الفكرة القائلة بأن تصور مَاعِتْ يتكامل في الوقت نفسه كونياً واجتماعياً في الفكر المصرى الذى لم يميز بين دراسة علم الأديان والكون والمجتمع والديانة والدولة[٥٣]. ومن خلال التحليل التفصيلي للنصوص وملحقاتها من خلال صورة مشهد "وزن القلب"، أوضح المؤلف كيف أن مَاعِتْ تحكم وتدبر على مستوى اجتماعي ومستوى كوني. واعتبر أن المفهوم الاستيعابى لأفكار مَاعِتْ كما يلي:

"من الممكن أن توفر فكرة مَاعِتْ لنا مفهومًا استيعابيًا أكثر عمقاً للحضارة المصرية.. لأنه من الواضح أنه أزال الحدود بين الديانة وبين كل ما هو غير دينى"[٥٤]. وهذا يفسر لنا إلى أى مدى كانت الصعوبات الخاصة بترجمة أفكار مَاعِتْ، بواقع يؤكد أن عالم الفكر عند قدماء المصريين يختلف عن عالمنا:

"كلما كان التباعد كبيراً بين العالمين، طال شرح النص وقد يصل إلى حجم كتاب بأكمله، حتى يمكن إيضاح أفكار عن عالم غريب عن عالمنا"[٥٥].

ويصف المؤلف كيف أن علم المصريات الذى تم إثراؤه بأعمال علم الأجناس البشرية الثقافية وفلسفة الحضارة، قد

تجاوز حدوده من مجرد مفهوم أخلاقى بحت لمَاعِتْ إلى مفهوم عالمى فى الثلاثينيات من القرن الماضى، وهى فترة تميزت بأن "جوهر" أفكار مَاعِتْ لم تعد أخلاقية بل أصبحت تحمل "طابعاً عالمياً"(٥٦)، وأصبح تعريف العدالة فى هذه الحالة على أنها بمثابة عمل بالتناسق مع القوى المنظمة الدقيقة والفعالة فى المحافظة على هذا الطابع العالمى(٥٧)

## الجانب الاجتماعى لمَاعِت فى رأى يان أسمن(٥٨)

اعتمد يان أسمن Assmann على تحليل نصوص الحكمة (المكونة من تعاليم وعويل ونُواح)، وبصفة رئيسية على نصوص "ساكن الواحة" (الفلاح الفصيح) من الدولة الوسطى(٥٩)؛ حيث حاول أن يوضح كيف أن فكرة التضامن الاجتماعى مصدرها أفكار مَاعِتْ. فهو عبارة عن تضامن فعال يتطلب أن يتصرف الفرد لمن يحكمه وأن يحافظ على ذاكرة الأمس. وبالإضافة إلى هذا التضامن الفعال، هناك التضامن غير المتحفظ والصريح الذى يعتمد على التواصل والاتصال عن طريق التنصُّت فى المجتمع المصرى، وكذلك التضامن المتعمد حيث أدرك "مَاعِتْ كإيثارية ذات توجيه مألوف"؛ وذلك باعتماده على الفكرة "نهم القلب".

وقد وُجِّهت عدة انتقادات للمؤلف فى هذا الجزء؛ حيث شرح المصادر التى نهل منها لأفكار التضامن والإيثار وخاصة التضامن غير المتحفظ الذى يعتمد على التنصت والتى تُعتبر غريبة عن مَاعِتْ المصرية، والتى كونت جزءاً من عصرنا المحورى (عصر التحولات الفكرية الكبرى). فمثلاً، كان

التنصت والاستماع فى مصر ذا بعد أكبر من فكرة الاستماع كتضامن مثلما عبر عنه يان أسمن. ومن المحتمل جداً أن تكون فكرة الاستماع المتبادل كطاعة واحترام للقانون الأبوى مثلاً، والذى شكل إفساداً وتشويهاً متأخراً لمجتمع يسود فيه نظام الأسرة القائم على سلطة الأب حيث كانت التعاليم مخصصة للأبناء. وحتى لو كانت هناك مسالك لتعاليم الآباء للأبناء، فهى بمثابة انعكاس لمصر التى كانت فى ذلك الوقت فى حالة عدم توازن لصالح سلطة الأب القاسية لحدٍّ ما.

كان يجب أولاً وقبل كل شيء الإصغاء إلى الله والإصغاء إلى مَاعِتْ عن طريق القلب، فعند الإصغاء يكون القلب فى الواقع قد ضبط نفسه على إيقاع التناغم الكونى ويمتلئ بأفكار مَاعِتْ وبالحيوية(٦٠). ولنذكر هنا أن العلم الحديث قد اكتشف الدور الأساسى الذى تلعبه الأُذُن الداخلية كعضو للتوازن. كما نذكر الأعمال التى قام بها الدكتور ألفريد توماتيس (٦١) Alfred Tomatis الذى أورد فى كتابه: "نحو التنصُّت البشرى" ما يلى:

"لم تكن الأُذُن فى الواقع يتم إدراكها على أنها للإصغاء والفهم، فكيف تكون منذ ذلك الحين للاستماع؟

إنها تقوم بوظيفتين جوهريتين تلبيان فى الواقع عملاً واحداً.. التوازن وإعادة شحن الجهاز العصبى بالطاقة. وليست سوى أمور ثانوية فرعية؛ لأنها تبدأ بالاستماع والفهم (Entendre) وبعد ذلك الإنصات والإصغاء (Écouter)".

ولنحاول أن نسترد الشعور وندرك مدى مفهوم الإنصات والإصغاء فى مصر القديمة، وأن نفهم أيضاً لماذا كان هذا المفهوم على درجة كبيرة من الأهمية فى الحضارة المصرية. فالإصغاء والإنصات لم يكونا مقصوريْن على مجرد الإصغاء

والإنصات للآخر، بل هو عبارة عن تضامن تواصُلى أكثر اتساعاً بحيث كان يتطلب الإنصات والإصغاء إلى الكون وإلى قوانينه التى تتسم بالتناغم والتناسق كى تمتلئ بالحياة.

وهناك نقد مطول لأفكار يان أسمن Assmann يبعدنا عن هدفنا. ولنَعُد الآن إلى الجوانب المفيدة لتحليله، والتى يمكن المحافظة عليها رغم عملية الإسقاط من جانب المؤلف على الأفكار والمفاهيم الحديثة عن التضامن والإصغاء أو الإيثار.

وقد استخلص يان أسمن جانباً على درجة كبيرة من الأهمية، وهى فكرة المقايضة أو التبادل مصحوبة بفكرة الدورة والتداول أثناء عملية التبادل(٦٢). وتظهر هذه الفكرة فى نص "ساكن الواحة"؛ وخاصة فى الصيغة التى تقول: "تصرف من أجل من يحكم"(٦٣). وينبغى ــ فى رأينا ــ أن نلتزم بالموافقة جزئياً على الفكرة والنتيجة التى توصل إليها يان أسمن وهى كما يلى:

"تتضح أفكار "التضامن" والاتصال فى العناصر المشتركة لكل المجالات أو عالم المقال الذى درسنا فيه أفكار مَاعِتْ... وإذاً، يجب أن نضع جانباً فكرة أن الطابع الكونى Weltardnug هو بمثابة المركز الرئيسى لأفكار مَاعِتْ. أما المركز الحقيقى، فهو نقطة الانطلاق حيث تُستمد منها كل أنواع التفضيل والمراعاة، أى الطبقة الاجتماعية للتضامن الجماعى Communicative(٦٤)، وهذا يعنى العودة للوراء وفقدان الفائدة التى اكتُسبت من التقدم والتى أتاحها كلاس بليكر، وكذلك تقليص آراء مَاعِتْ وتعتيمها بصورة ملموسة؛ وذلك بإدخال آراء مبنية على الاستدلال الصحيح". ومع ذلك، فإننا إذا وضعنا مبدأ التبادل

والدورة، موضع القوة فى المجتمع المصرى، فإنه من الممكن أن نضع التضامن الجماعى موضع الاعتبار دون أن نترك فكرة الطابع الكونى، وأن تظل فكرة التضامن الجماعى فى صلب أفكار مَاعِتْ طالما أن قانون التبادل يُعتبر كونياً. وقد ذُكر قانون التبادل هذا فى عبارات صاغتها بيكل Bickel فى كتابها: "علم نشأة الكون قبل الدولة الحديثة"(٦٥)، فرايبورج ١٩٩٩.

"حيث إن مَاعِتْ هى بمثابة الحياة والنَّفَس التى تبعث على الحيوية، فهى مبدأ يجب تداوله على عدة مستويات: بين الخالق وابنته مَاعِتْ من ناحية، وبين الخالق والآلهة بصفة عامة والعالم ككل من ناحية أخرى".

لقد كانت فكرة التبادل هذه بالنسبة لقدماء المصريين تحتل المكانة الأولى لفهم العالم. فعبادة الخالق والأفكار الجنازية وأيضاً العلاقات الاجتماعية، كلها كانت موضع التقديس فى فكرة أو مبدأ التبادل، وعن طريق تبادل متوازن تحدث الدورة الكونية على أفضل حال وأن النظام الكونى تمت المحافظة عليه خلافاً لما اعتقد أسمن Assmann. ونعتقد أنه لا يوجد "تضامن" بالمعنى الحديث للفظ فى المجتمع المصرى القديم، ولكن حُسْن إدراك واقعى وملموس يُظْهر أن التبادل والدورة فى أفكار مَاعِتْ خلق التناغم والانسجام فى مجموعة البشر، وكذلك الاستقرار والرخاء والسعادة والوفرة وأيضاً الصحة.

## ختام

من خلال دراستنا عن قرب لتطور مفهوم مَاعِتْ وآرائها فى علم المصريات، ظهر لنا بوضوح شديد أنه لا يمكن

رؤية مَاعِتْ بمنظار مفاهيمنا وآرائنا الحديثة عن الحقيقة والإنصات والتضامن والخطايا.. إلخ. فهل لم تكن سوى دراسة عن الأجداد الأقدمين؟ ومن هذا المنطلق لا يمكننا سوى رفض الاقتراب الحديث الإيجابى الذى صدر من برناديت مونو Menu[٦٦] عن العلاقة بين مَاعِتْ وتحوت هرموپوليس Thoth Herompolis والحق[٦٧]. وفى رأى المؤلف، أن مَاعِتْ هى معيار الجوهر المقدس وأن تحوت هو المكلف بتطبيق هذا المعيار وتفسيره، والعودة ثانية إلى القول بأن مَاعِتْ تنادى بالقانون وأنها مؤلَّف من مؤلفات الفقه وعلم الحقوق أو القضاء، بل على النقيض من ذلك، فمن التفاهة والسطحية الإيجابية القول بذلك لأن آراءها لم تكن سوى تصور أصيل عن العدالة التى كانت سائدة فى مصر القديمة. ولكى نلقى مزيدًا من الضوء على هذا المفهوم ويكون أكثر فائدة، علينا التعمق فى فهم ودراسة الرمزية المصرية مع التركيز على وضع أفكارنا الحديثة جانبًا.

## الفصل الثانى

# الرمز كوسيلة
# للدخول إلى عالم
# ما قبل المنطق

استطعنا من خلال دراسة أفكار مَاعِتْ في مصر القديمة أن نلاحظ الاعوجاج والغرابة عند دراسة مَاعِتْ خاصة من خلال تحليل النصوص المكتوبة، وهذا على حساب الرسوم والصور. فكان منها مشهد محاكمة الموتى (حساب وزن القلب بما يقابل مَاعِتْ) (Psychostasie) الذى كان مفيداً بصورة رئيسية فى فهم أفكار مَاعِتْ عن العدالة المصرية وتطبيقها. وقبل أن نرى الجزء الهزيل الذى حصلنا عليه من علم المصريات وتاريخ الأديان، من الضرورى أن نفهم ما الرمز وما دوره بصفة عامة فى الحضارة المصرية.

## القسم الأول

## مصر عالم التواصل الرمزى

لا ينقص علم المصريات شيء بالنسبة لمفهوم العدالة طالما أنها كانت تقوم على العدالة. وما دفعنا إلى الوقوع فى الخطأ، هو قدرتنا على تفسيرها بسبب انجذابنا الشديد نحو النصوص اعتماداً على الرسومات والرموز. ومع الأخذ فى الاعتبار أهمية الرمز كوسيلة للاتصال فى عالم ما قبل المنطق

بحيث نكون فى وضع أفضل لفهم فكرة العدالة فى مصر. وسوف نتمكن فى النهاية من تكوين صورة محددة وموحدة عن العدالة فى العالم المصرى القديم، وذلك اعتماداً على رسومات ونصوص تم العثور عليها. لقد تم توصيف المصريين القدماء بأنهم من عصر "ما قبل المنطق"، و"البسطاء"[١] وقبل عصر الفلاسفة أو ما قبل الكلاسيكيين التقليديين، وفى هذا تناقض مع العصر المحورى[٢] الذى شاهد ازدهاره فى الفلسفة العقلية أيام الإغريق. وقد ذكر عالم المصريات چان يويوت Yoyotte[٣] فى مقالة بعنوان: "الفكر المصرى فى عصر ما قبل الفلسفة" أنه انضم إلى الرأى السائد فى علم المصريات وفى تاريخ الأديان. وأضاف أنه لم يوجد فى مصر القديمة نظام فلسفى قائم ومنظم بصورة عقلية مثلما كان لدى الإغريق[٤]. وذكر هذا المؤلف عدم وجود المنطق القانونى مقارنة بالمنطق القانونى الحديث[٥].

وكان يكفى مجرد إلقاء نظرة على كتاباتهم الهيروغليفية التى تثبت أنها مليئة بالخيال، بل وأيضاً بالفكاهة فى النقوش الرمزية التى تعبر عن الحقيقة الملموسة لنفهم إلى أية درجة عقليتنا المنطقية باردة ومجردة، بينما ما كان لديهم يتميز بالغرابة إلى حد ما، وفى عالم يعتمد على الرسومات الملونة والخيال المبدع المتحرر من أى قيود حيث يمكننا أن نرى رسومًا لثعابين بأرجل وعيون وأجنحة أو لديها أرجل للتعبير عن حركتها[٦]، كما لا ننسى الطيور الملونة فى الكتابة المصرية القديمة والتى تضم أكثر من ثمانين شكلاً مختلفاً فى عصر ما قبل البطالسة كما ذكر إريك هورنونج Erik Hornung، حيث كتب يقول:

"تحدث مؤلفو العصور الوسطى عن الكتابة باستخدام أشكال الطيور عندما كانوا يتحدثون عن الهيروغليفية"[٧]. كانت

مصر القديمة تفضل الاتصال بالرموز[٨]؛ لأنها كانت تعتبر أنها مشحونة بطاقة حيوية[٩] إلى درجة بحيث إنه ابتداء من عصر معين كانت تتجه للنهاية بهذا المنطق. فكان من المألوف أن تُبتر أجزاء من رسومات أو تُشوه والتى تصور حيوانات أو بشراً، حتى لا تنعكس مرة أخرى على المتوفى[١٠]. فالرسومات مثلما ذكر إريك إي ڤرسن Iversen [١١] كانت فى البداية "أشياء حية تنقل رسائل ولها أهداف سحرية، أما الاستخدامات من أجل الزخرفة، فلم تكن سوى أمور ثانوية". وبمناسبة النقوش الفنية المصرية، فقد أوضح إريك إيڤرسن Iversen، بأنها كانت تعطى طابعاً خاصاً عن رسالة بصرية وليست شفهية[١٢]. وفى أيامنا هذه، لم نعد نعرف قراءة الإشارات إلا بطريقة عقلية.

وقد انتقد الكثير منا القدرة على فهم الرموز الخاصة بالأحلام، لأن خبراء علم المصريات وتاريخ الأديان، لم يهتموا بدراسة اللغة الخاصة بالأحلام. ولذا؛ فإنه من خلال الأحلام نقترب أكثر فأكثر من شكل من أشكال الاتصال الرمزى بالحضارات البدائية. ويدل ذلك على أن المختصين غير قادرين على فهم أحلامهم الخاصة بهم، وبذا، فليست لديهم أية فرصة تمكنهم من فهم الرسومات الرمزية لمصر القديمة التى تحمل معنى يمكن إدراكه بخلاف ما يمكن الحصول عليه بالفكر المعتمد على العقلL'esprit rationnel. كما لاحظت بياتريس جوف Goff أن الرمز يختلف عن الإشارة فى أنه يمثل دلالات لعناصر مثل الأفكار والعواطف والانفعالات والبديهيات (الحدْسيات) والتجارب[١٣]. وبعبارة أخرى، يمكن القول، بأن الرمز لمن يعرفه ما هو إلا تكثيف وتركيز للمعلومات[١٤].

ولذا؛ فمن غير المستغرب أن يكون المصريون القدماء أناساً عمليين، ولكنهم أيضاً بصفتهم مَنْ ينطبق عليهم فترة ما

قبل المنطق، قد فضلوا الرمز كوسيلة لنقل المعرفة التى تتسم بالسرية. كما تتوافر فرصة أخرى للرمز تكمن فى إتاحة الفرصة للاتصال على مستويات عديدة؛ وهذه يمكن الوصول إلى كل منها على حدة حسب درجة القدرة على الفهم من ناحية والمرتبطة بحساسية العواطف والانفعالات والبديهيات (الحدسيات)؛ ومن ناحية أخرى بتفعيل قدرتها على عدم إسقاط أفكار سابقة للتجربة، وهى أساساً تلك الآراء المسبقة غير المبنية على استدلال صريح.

وهذه القدرة التى تتمثل فى عدم تحميل عصره بآراء غير مبنية على استدلال صريح للعصر المحورى، إنما هو الصمت الباطنى(١٥) الذى يجب أن يمتلئ بمعنى الرمز. وهذا الصمت العقلى ضرورى، إذ يغيب بقسوة عن أعين رجال عصرنا خاصة المثقفين وذوى المعرفة الواسعة من أمثال علماء المصريات ومؤرخى الأديان، وبدلاً من أن نلقى نظرة حقيقية على مشهد محاكمة الموتى (حساب وزن القلب بما يقابل مَاعِتْ) Psychostasie، فقد تركوا لأنفسهم الاستغراق تماماً فى "سحر" النصوص الجنازية.

وبالنظر إلى ذلك، فإن هذه الأخيرة ليست كما سنراها تمثل مصادر موثوقة كى نفهم رمز المشهد الذى يُقال عنه "محاكمة الموتى"، ومن خلاله يبرز معنى أفكار مَاعِتْ.. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تمسكنا الحديث بالنصوص قد أوقعنا فى خطأ آخر يمنعنا من أن نحصل على صورة وافية للحضارة المصرية. وقد قمنا فى الواقع بإثبات قدر بسيط من رجاحة الفكر عندما تخيلنا أن عالمنا الحديث هو فقط الذى يمتلك المعرفة العلمية، وأن الرسومات والصور العلمية الموجودة هى

تلك التى نستخدمها. ومع ذلك، فإن علماء المصريات قد أعربوا عن رأيهم فى أن قدماء المصريين كانوا يستخدمون الرموز كوسيلة للتواصل العلمى(١٦)

## القسم الثانى
## العلم واللغة الرمزية فى مصر

تُرجمت مَاعِتْ فى علم المصريات بالحقيقة والعدالة والنظام والضوء وتغذية الآلهة.. وكما يقول يان أسمن Assmann(١٧)، فإن الإسهاب أو التعدد قد يمتد حتى يصل إلى تكوين كتاب بأكمله. ورغم ذلك، فسوف نجد التعريف الصحيح لمَاعِتْ وأن ذلك لا يقدم لنا الكثير. وليس المهم أن نجد تعريفاً مجرداً (معنوياً) صحيحاً لمَاعِتْ، بل على العكس، أن نحدد طريقة للعمل الملموس. ويحتاج هذا الإدراك أن نواجه مصر الأثرية بالإضافة إلى رسم مشهد محاكمة الموتى Psychastasie، مع اللجوء لطريقة علمية أفضل من الطريقة الأخلاقية أو الدينية أو ببساطة طريقة وصفية. وتتيح هذه الطريقة فقط توحيد الأوجه العديدة لمَاعِتْ والتى حصل عليها علماء المصريات ومؤرخو الأديان. ورغم ذلك، فإن البساطة العلمية لمشهد محاكمة الموتى Psychastasie تتحدى وتقاوم أى تقارب عقلى مبنى على العقل التقليدى؛ ولكى ندرك إدراكاً سليماً أن المعرفة السائدة لدى قدماء المصريين كانت تُصاغ بلغة رمزية، فإننا لا نستخدم منها أى حرف فى هذه الأيام.

ومع ذلك، فقد تساءل عدد من علماء المصريات ومؤرخى الأديان حول ضرورة احتمال التقرب العلمى للحضارة

المصرية: فقد أشاروا إلى الطابع العلمى لعناصر معينة من الحضارة المصرية القديمة، واعتبر سيجفريد موريتز Morenz أن مصر الفرعونية تخفى كتابة علمية من الأساطير وأن هذه الحضارة والعلوم والدين تتداخل فيما بينها وعلينا أن نلتزم بالعقلانية على طريقتنا، لأن قدماء المصريين كانوا يعرضون معارفهم العلمية[١٨] بلغة الأساطير والخرافات، وهى بدورها تتعلق بالمجال الدينى. وبعبارة أخرى، كان العلم، فى رأى المؤلف عبارة عن مادة دينية. ولم يشارك فيليب درشان Derchain المؤلف فى هذا الرأى، حيث قام بترجمة ممتازة لبرديات سولت (Salt)[١٩] حول الطقوس والشعائر من أجل المحافظة على الحياة فى مصر فى عصر البطالمة، فقد أوضحت بصورة جلية الطابع العلمى الذى أخطأنا تقديره حيث كنا نعتبرها بمثابة الديانة المصرية. كما اعتبر المؤلف الذى جاء بعده وانضم إلى ألكسندر بيانكوف Piankoff[٢٠]؛ حيث استشهدوا بأنه لم يكن هناك ديانة فى مصر وإنما فيزياء

"قلَّما يمكننا التحدث عن الدين بالمعنى الحديث، ولكن بمعنى علم الكونيات وفيزياء حقيقية لا يمكن لأى شخص أن يتهرب منها ولا حتى فى أيامنا هذه أن ننكر أنها تتبع قوانين الديناميكا الحرارية" (التى تتناول العلاقة بين الحرارة والطاقة الديناميكية)[٢١]. ويختتم كلامه قائلاً:"إذا كانت هذه فيزياء، فعلينا أن نمثل الديانة المصرية ليس كمجموعة من العقائد يمكن قبولها أو رفضها بحدوث موافقة شخصية وانخراط فيها. وإنما كمجموعة قوانين تشكل نظاماً نفسياً وفلسفياً، بل وعملياً وضرورياً والذى هو بالنسبة إلينا هذه الأيام العلوم الصحيحة[٢٢].

كما نجد لدى هذا المؤلف التقدم والاقتراب نحو الطاقة الأكثر انطلاقاً للحضارة المصرية. ونتقدم أكثر فأكثر فنجد أن عدداً كبيراً من مؤلفين آخرين، ومنهم هذا المؤلف الذى انضم إليهم ولم يتردد(٢٣) فى أن "يقارن تقريباً المعبد المصرى بمحطة توليد الطاقة الكهربائية"، وهذا المؤلف هو سيرج سونيرون Sauneron(٢٤) إذ كتب يقول: "من الممكن أن نقارن تقريباً المعبد المصرى بمحطة توليد للطاقة الكهربائية حيث تتحول طاقات مختلفة إلى تيار كهربائى، أو بصورة أوضح إلى قاعة أجهزة تحكم لهذه المحطة حيث يقوم هؤلاء الفنيون بقدر من الجهد بإدارة مبدلات أو عواكس التيار ليؤكدوا إنتاج الطاقة وتوزيعها حسب الاحتياجات، ولكن فقط عن طريق المسالك التى تم اجتيازها مقدماً.

وفى سياق نص آخر، ذكر چان كلود جويو Goyon أيضاً دور مقبس المعابد:

"اتضح حسب تلك المفاهيم، أن أحد معابد الدولة الحديثة كان بمثابة حيِّز يُستخدم كمقبس مقدس فى توزيع الطقوس وإدارتها للعناية بالوجود الحقيقى للحياة الإلهية"(٢٥). إلا أن فيليپ درشان Derchain ذهب إلى نهاية الشوط، عندما فسر منطق الطاقة الموجودة بالمعبد بأن الآلهة المصرية يظهرون كنقاط انبثاق(٢٦) لقوى طبيعية محفزة بمساعدة الطقوس(٢٧). فالآلهة مثلاً ينبغى إعادة شحنهم بانتظام فى المعابد(٢٨)، ولا يمكن أن ننكر الدليل على الأهمية الجليلة الواضحة التى قدمتها مصر القديمة بالنسبة للطاقة الكونية ولسائر البشر؛ خاصة ما قدمت هى على هيئة طاقة شمسية (مَاعِت).

فمصر القديمة، كما اتضح لنا من مشهد محاكمة الموتى، تهتم بقوانين دورة الطاقة الشمسية سواء فى الكــون أو لــسائر البشر. ورغم أن كل ما لدينا من معلومات عن مصر القديمــة، فإن هذه المعرفة بمثابة استخلاص مــن حشو كلام ومن ســحر يجب أن نستخرجه بمهارة وذكاء. فمثــلاً، إذا اتفقنا مع الــرأى الذى نادى به فيليپ درشان Derchain وهــو مقارنــة المعبــد المصرى بمحطة توليد الكهرباء، فلا يمكننا بالمقابل أن نــصنف مجموع الطقوس ضمن الفيزياء المصرية. فعلى مــر الــزمن، ركدت كثير من العناصر الغريبة من الفيزياء الأوَّلية وأصبحت كرواسب، وصارت تحــت رحمة السلطات الدينيــة الموجــودة والتــى تتعامل معها. وكيف يمكن التعرف على المعرفة العلمية المصرية من خلال الوصف التالى لطقس من طقــوس العبــادة اليومية كما ذكر چان كلود جويون Goyon [٢٩] ؟

"كانت العبادة مادياً هى كل ما يُقلد حرفياً يوميــاً للقيــام بخدمة البشر من الطبقة العليا، كأحد الملوك. فالتمثــال كــشىء ميت، كان يُرى وهو يتغذى ويرتدى ملابس ويتــزين ويُمــسح بالزيت. وفى كل ساعة وكل يوم يُتوقع فيه إقامة طقوس، كــان يُرى مكتملاً للخدمة بعد مرحلة الاستيقاظ والتزين ويأخــذ دوره للاستعداد لتناول الوجبات الثلاث. وفى كل مــرة يــدخل فيهــا الخدمة، كان يتطهر بإراقة الماء عليه وإطلاق البخور؛ وذلــك من أجل تنقية الأماكن والقرابين أو الإيماءات. وأحد الطقــوس العلمية للكلمة الإلهية كانت تصاحب الأحداث المادية دائماً". وفى الواقع، فإن هذه الطقوس كما وصفها المؤلف، قد كونت الهــدف العلمى للطاقة بدءاً من احتمال تكوينها ثم تبديلها، وذلــك مــن خلال تفاصيل عديدة وغير واضحة. وهذا التعارض موجود بين

المعرفة المصرية لدورة الطاقة الشمسية وفائدتها بالنسبة للجانب المعنوى (غير المادى) للحياة ولصرامة الطقوس وقسوتها والتى تبدو لنا واضحة؛ حتى إن الطقوس الخاصة بالمحافظة على الحياة[٣٠] لم تعد تحتوى إلا على قدر يسير من الذكريات المشوهة عن كل ما كان يُذكر عن علوم الفيزياء الحقيقية المصرية. وإذا أخذنا برأى فيليب درشان، فإن هدف الطقوس المذكورة فى بردية سولت (Salt) والتى كان لا بد من متابعة التعليمات الواردة فيها بدقة هو كما يلى:

"ذكرت لنا البرديات أن الأثر الذى كان وراء هذه الطقوس هو المحافظة على النظام الكونى واستمراره. وبفضله لم تسقط السماء على الأرض، وأن الشمس سوف تستمر فى دورانها فى السماء وأن النيل لن يجف ماؤه. ومثل تلك الكوارث من المحتمل حدوثها لو أهملنا مراعاة التعليمات والأوامر الموجودة فى النص"[٣١]. ونعتقد أن ما يجب استيعابه أساساً إنما هو الجانب النشيط والفعال الخاص بالعدالة المصرية. فمن خلال استمرارية هذا المفهوم الرئيسى ودوامه على مدار الحضارة المصرية، نلاحظ أن الاهتمام منصبٌّ على الجانب الروحى والمعنوى للحياة: فالطاقة البشرية والكونية هى التى تظهر. ولم يكن من السهل إدراك مفهوم العدالة النشيطة والفعالة فى المبدأ الخاص بتشغيله وترجمته بطريقة بسيطة بلغة حديثة نابعة من عقلية موجهة بالكامل نحو الجانب المادى للوجود. وما الشائع بين عدالة الجانب الروحى والمعنى والعدالة القائمة على المادة؟

إن هدف العدالة المصرية هو إصلاح الدورة السليمة للطاقة الشمسية التى توجد بوفرة. وبهذه الطريقة، خلقت الوفرة والرخاء والصحة للجميع (تسطع الشمس للجميع).

أما عن العدالة للعالم المادى، فإنها تعود على كل فرد لــه ولغيره بالقسمة العادلة. ولا يشغل بالها خلق الوفرة، ولكن إدارة كل ما هو موجود بالفعل. ومنذ فترة زمنية بسيطة تحدث العالم النــفسانى كــارل جوستاف يانك Junk عن النــشاط والفاعليــة النفسية(٣٢) بينما تبرز من جميع أنواع المعرفة والتى تراكمــت من مصر القديمة؛ حتى إن المصريين كانوا قد ركــزوا علــى الجانب الفعال والنشيط للوجود(٣٣).

## الفصل الثالث

# الاقتراب الأكثر واقعية
# من المشهد
# يتيح إمكانية استخدام العدالة

قبل أن نرى كيف أن مشهد محاكمة الموتى (وزن القلب بما يقابل مَاعِتْ Psychostasie) قد اتخذه علماء المصريات ومؤرخو الأديان كمحض إدراك، فمن الملائم أن نقدم كتاب الموتى الخاص بقدماء المصريين، لأنه من خلال هذا الأدب الخاص بالموتى، نجد أن هذه النقوش التى تتعلق بالعدالة وتطبيقها قد وصلت إلينا. ومن واقع هذا المضمون، فإن مشهد "محاكمة الموتى" قد وُضع فى الاعتبار على أنه فى إطار الحياة بعد الممات، لكن لم يلفت الانتباه فى أنه يستحق المفهوم اللازم لاستيعاب أفكار مَاعِتْ.

## القسم الأول

## ما كتاب الموتى الخاص بقدماء المصريين؟

كتاب الموتى الخاص بقدماء المصريين ليس كعنوانه أو كما يتبادر إلى الذهن كتاباً موحداً؛ ولكنه اسم أطلقه المختصون

بالأدب الجنازى، وهو مكون من عدة نصوص متناثرة تم تجميعها فى ترجمة شبه كاملة تبدأ من العصر المتأخر، وقُسِّم إلى فصول. أما العنوان المصرى للكتاب نفسه، فهو من اختيار كلير لالويت Lalouettc وهو "نماذج وصور للصعود إلى الحياة الأخرى"(١).

وفى رأى عالم المصريات جى راشيه Guy Rachet، أنه الاسم الخاص بالطقوس الجنازية اختاره شامپليون Champolion عند طبعه أحد تلك النصوص الجنازية.

وتوضح النصوص التالية ما أخبرنا به المؤلف عن أصل كتاب الموتى لدى قدماء المصريين وعن تقسيمه إلى فصول: ".. أصدر عالم المصريات الألمانى كارل ريتشارد لپسيوس Lepsius (١٨٠١ ١٨٨٤) طبعة منه؛ حيث استقى المعلومات من برديات تورينو أيام عصر البطالمة، وتحتوى على ١٦٥ نموذجاً تحمل اسم كتاب الموتى Todtenbuch، وعند طباعته جعل كل نموذج يتطابق مع فصل: ومنذ ذلك الحين استُخدم هذا التقسيم من قبَل الناشرين ومترجمى النصوص"(٢).

كما ذكر المؤلف خلافاً لذلك، الطابع التعسفى لتقسيم كتاب الموتى عند قدماء المصريين إلى فصول.

أما بالنسبة لچان يويوت Yoyotte، فإنه يعتبر أن "كتب الموتى ما هى إلا مجموعات من أعمال الرقَى (جمع رُقْية) والتعاويذ والسحر"(٣). ويضيف المؤلف نفسه أنه يوجد فى آنٍ واحدٍ فى الفصل ٣٠ نص يتحدث عن القلب، وفى الفصل ١٢٥

يتحدث عن إعلانِ البراءة التى كانت فى البداية مرتبطة بالصورة التى تهمنا والتى تمثل مشهد محاكمة الموتى. بينما لم نعد نجدها فى الفصل ١٢٥ فى الترجمات الأخيرة لكتاب الموتى حيث وزن القلب والمحاكمة فى مشهد واحد(٤).

ومن كتاب لآخر نجد أن مشهد محاكمة الموتى يقدم صوراً متنوعة، وأن چان يويوت ذكر الطابع المركّب لهذا المشهد(٥) فى ترجمات حديثة لهذا الكتاب. ورغم الترجمات العديدة لكتاب الموتى عند قدماء المصريين التى قامت بها الهيئات التى لديها مواد هذا الكتاب، فقد ظلت تلك النصوص غامضة فى بعض الأحيان؛ وتميزت بأن أغلبها قد أخذ طابع السحر حتى يتيح للمتوفّى الناجح المرور نحو العالم الآخر، وذلك رغم العقبات المختلفة التى تعترض طريقه. وعلى مر التاريخ الطويل لمصر القديمة، فإن هذه العقبات كما لاحظ هنرى فرانكفورت تكون تحت تأثير الخوف(٦) الذى قد يزداد ويصير مرعباً.

أما الصيغ السحرية الموجودة فى الفصل ١٢٥، فتُستخدم لإعلان براءة المتوفى حسب الظاهر من سلوكه الأخلاقى. ويحمل الفصل الثلاثون عنوان: "صيغ تجعل القلب لا يعترض على الإنسان وهو راقد تحت الأرض". أما السحر الذى يمحو الأخطاء الناجمة عن سوء الأخلاق أثناء العصور التي كُتبت فيها كتب الموتى، فهى موجودة فى هذه النصوص حتى إن قدماء المصريين يمكنهم بسهولة وصف هؤلاء بالنفاق والمراءاة؛ وذلك كما ذكر إيتيين دريوتون Drioton بأنه باتخاذ

النصوص كمرجع للحكمة نجد أن كتاب الموتى عند قدماء المصريين لم يترجم عقلية الشعب المصرى ككل(٧). أما الصيغ السحرية العديدة لكتاب الموتى عند قدماء المصريين والمرتبطة بالطابع المركب لهذا الكتاب فى عدم التطابق أحياناً بين النص وتفاصيل الطقوس(٨)، بحيث إن مشهد محاكمة الموتى ارتبط فى آنٍ واحد فى الفصل ٣٠ بالقلب وفى الفصل ١٢٥ بإعلان البراءة(٩) ـ فقد جعلت كتاب الموتى عند قدماء المصريين مرجعاً غير موثوق به بصفة عامة مثلما وافق عليه علماء المصريات ومؤرخو الأديان، ومع ذلك، ورغم المصداقية الضعيفة نسبياً التى مُنحت لهذا الأدب السحرى ـ الجنازى وبصفة خاصة فى الفصل ١٢٥ لكتاب الموتى، فإن علماء المصريات ومؤرخى الأديان لم يتوصلوا إطلاقاً إلى ملاحظة أو وصف مشهد محاكمة الموتى؛ وذلك بالامتناع عن الإشارة إلى الفصل ١٢٥ وإلى الأفكار الخاصة بالمحكمة والعقاب والخطيئة.. إلخ، الموجودة فى هذا الفصل. حتى إن چان يويوت الذى تُنسب إليه الدراسة المتعمقة حول "محاكمة الموتى" لم يفلت من هذه الملاحظة، بينما عبر عن فرضية سنتحدث عنها فيما بعد.

كان البحث الذى قام به المؤلف تاريخياً أكثر منه فلسفياً ومرتكزاً أساساً على تحديد العصر الذى ظهرت فيه فكرة محاكمة الرب، ولم يتمكن لهذه الأسباب من استخلاص كل نتائج فرضيته. وباعتماده على أقدم النقوش الخاصة بمشهد محاكمة الموتى مقابل مَاعِتْ وكذلك على الفصل ٣٠ ـ B، فإنه افترض

أن مشهد "محاكمة الموتى" كان فى الأصل مختلفاً عن مشهد المحكمة وأن المشهدين سيمتزجان على مر التاريخ[١٠] فى مشهد واحد. وبسبب طابعه المركب وأهدافه السحرية، فإن كتاب الموتى عند قدماء المصريين لم يظهر وكأنه أفضل وسيلة لفهم مشهد محاكمة الموتى. وطالما لمسنا أهمية العقلية المصرية فى الاتصال عن طريق الرسومات بالرموز، فمن الأجدر أن نلتفت إلى مشهد محاكمة الموتى ونعطيه الاهتمام الذى يستحقه، مع النظر إليه بعقلية "ما قبل ــ المنطق" بقدر الإمكان. وبالنسبة لقدماء المصريين، كان الرسم والكتابة أمرين مقدسين[١١]. أما الأسرار التى يحتويها، فلم تكن تُكشف لغير المتعلمين[١٢].

وكان الرسامون أبعد ما يكونون عن الحرية الفنية، بل كانوا يخضعون للالتزام بقواعد صارمة وتحت إشراف الكهنة[١٣]. ولو أخذنا فى الاعتبار تلك السمات الخاصة للعقلية المصرية، فإنه ينبغى إعطاء مزيد من الاهتمام لمشهد "محاكمة الموتى" (حساب وزن القلب بما يقابل مَاعِتْ التى هى موضع تقدير). وذلك من خلال الصورة الوحيدة المكررة إلى ما لا نهاية عن مَاعِتْ وهى فى حالة حركة، لتُتاح الفرصة لأن تصل إلينا المعلومات الأكثر أهمية والأكثر احتمالاً والأكثر دواماً وبصورة كاملة عن مَاعِتْ. وسوف تكون أيضاً أقل تشويهاً وتحريفاً، سواء بسبب اهتمامات طبقة الكهنوت[١٤] والسحرة أو بسبب تطور الأفكار.

وكما ذكرنا من قبل، فإن التمثيل الرمزى للعدالة التى تُطبق لم يكتشفها الباحثون بصورة كافية؛ لأنهم كانوا يهتمون أكثر بتحليل النصوص والتى أثرت عليهم بدرجة كبيرة منعتهم من رؤية مشهد محاكمة الموتى مثلما كان حقيقياً. ومثال على ذلك، اتخاذ إجراء مخالف لحالة ما قبل المنطق، ويمكننا الاستشهاد بمثال من يان أسمن الذى حقق أعمالاً على درجة كبيرة من الأهمية حول مفهوم أفكار مَاعِتْ، وكتب عن طريقة العمل التى تبناها فى هذا الصدد قائلاً: "حتى الآن افترضنا دائماً بأن دراسة متعمقة عن مَاعِتْ لا يمكن أن تقوم إلا على تجميع كامل للمراجع، وحيث تتوافر آلاف المراجع، فلا أحد إطلاقاً يتولى هذه الدراسة.

وكان المفروض أن تبدأ الدراسة من أصل الكلمة واشتقاقها ومن معنى مَاعِتْ بالهيروغليفية؛ كى نتوصل إلى جوهر معناه. لكن كل ذلك لم يؤد إلى شيء؛ لأنه يبدو أن قدماء المصريين نسوا أصل الكلمة واشتقاقها ... ولذا، لم أشغل نفسى باشتقاق الكلمة وأصلها ولا بالتعبير الخطى والمكتوب لمَاعِتْ، والتى فى رأيى تنتمى إلى ما يحيط بها، ولكن هناك مناقشات ذات صلة بموضوع مَاعِتْ قد تمت بصورة[١٥] رئيسية (ومع ذلك فسوف نقوم بوصف مشهد محاكمة الموتى). أما عن چان يويوت، فبعقلية علمية بحتة، هاجم فكرة مَاعِتْ قائلاً: "إن مسألة مَاعِتْ تحتاج إلى إيضاح من جميع النواحي؛ وذلك بدراسة علمية للمصادر مع الأخذ فى الاعتبار العصور والنصوص الكاملة"[١٦].

وقد كشف تحليل المناقشات واستخدام الإحصائيات عن اتباع طريقة حديثة وجامعة للوصول إلى المعلومات. لكنها أهملت بصورة رائعة كل ما لدى العقل البشرى من مَلَكات للوصول إلى المعلومات. ورغم أن تلك الطريقة الخاصة بالاستقصاء قد تمكنت من الوصول لنتائج باهرة فى علم المصريات، إلا أنه للأسف، لم يتمكن علماء المصريات ولا مؤرخو الأديان من إدراك المشاهد بصورة كافية، خاصة مشهد محاكمة الموتى. ومع ذلك، ومن خلال الرسومات والنقوش التى حُفرت على الحجر أو رُسمت على أوراق البردى، فإن مصر القديمة قد نقلت إلينا رسائلها الأكثر دواماً. وكذلك يرجع الفضل إلى المشهد الذى جعل ذهننا يترنح بصورة عقلية لأنه عند دراسة النصوص، ستُتاح له كثير من الفرص لتحطيم العادات الذهنية الراسخة من العصر المحورى. كما أن صورة العقلية شبه الإجبارية للعالم الحديث بدائرة مقصّرة كوسيلة يجب أن تتيح إيجاد تلقائية عفوية معينة أكثر اقتراباً من الفكر قبل المنطقى للمصرى القديم.

ولكن، وكما سنرى فيما بعد من خلال وصف مشهد محاكمة الموتى بما يقابل مَاعِتْ التى حققها علماء المصريات ومؤرخو الأديان، فإنه من الصعب جداً على عقولنا الحديثة أن تهرب من سيطرة اللغة لنتمكن من إدراك كل رسالة تدور فى مشهد محمل برموز. حتى إن إريك هورنونج، رغم أنه شهد لصالح الرسم فى علم المصريات ووضعه فى الاعتبار، إلا أنه لم يخرج عن نطاق التحديث العقلى الزائد عن الحد دون حساسية كبيرة.

وفى الفصل الأول من كتاب: "روح الزمن عند الفراعنة"، اعتبر هورنونج أن الرسم (الهيروغليفى أو غيره) يُعتبر مفتاح الفهم والإدراك للعالم المصرى القديم[١٧]. وأوضح كيف أن كل لون من الألوان المستخدمة فى الصور وفى الكتابة الهيروغليفية له معنى خاص. وكتب يقول[١٨]: "ليست الهيروغليفية مجرد تعبير خطى، بل تعكس أيضاً الحقيقة وتشارك فيها بألوانها". وأضاف[١٩]: "يعبر اللون عن بعض جوانب من جوهر الأشياء، بل إنه من الممكن استخدامه فى اللغة المصرية القديمة كمرادف لجوهر ما أو لحرف من حروف الكتابة". وأعرب المؤلف عن أسفه أثناء المناقشات التى أجراها عن رمسيس الثانى "لقلة الاهتمام الذى تم عند دراسة كل ما يمثل عهداً أو شخصاً شهيراً من رسوم وتماثيل فى تاريخ مصر القديمة"[٢٠]. واختتم قائلاً: "لكى نكشف الفكر الشامل لمصر القديمة، فإنه لا تكفى مجرد قراءة النصوص وفهمها، بل يجب أيضاً حل الطلاسم وفك الرموز الخاصة بالرسومات"[٢١]. ومن سوء الحظ ، أن شعوره بالاهتمام بدراسة كل ما يمثل عهداً أو شخصاً شهيراً من رسوم وتماثيل، لم يظهر عند الدراسة التى قام بها على مَاعتْ[٢٢]. ومثل مؤلفين آخرين، لم ينظر إلى مشهد "محاكمة الموتى" بشكلٍ كافٍ. بل على النقيض من ذلك، اكتفى بإعطاء وصف مختصر ومستوحى بشدة من النصوص الخاصة بكتاب الموتى عند قدماء المصريين.

## القسم الثانى

## مشهد محاكمة الموتى (من ريشة بيضاء أو تمثال صغير يرمز إلى مَاعِتْ La Psychostasie) كما يصفه علماء المصريات ومؤرخو الأديان.



رسم كروكى استوحاه المؤلف من بردية حونفر Hunefer(*).

### ١ـ وصف ألكسندر موريه Moret

يأتى هذا الوصف أساساً على هيئة محكمة استوحاها ألكسندر موريه من مشهد "محاكمة الموتى" عندما كتب مؤلَّفه

(*) الصورة بالألوان ويمكن مشاهدتها بالدخول على المواقع التالية:

(www.siloam.net /rostau/newgiza/entrance. html),

www.guardians.net/hawas/tomb of iuf-aa.htm,

(http://web.ukonline.co.uk/gavin.egypt.)

بعنوان: "النيل والحضارة المصرية". وابتداءً من الأسرة الثامنة عشرة، سنجد فى أوراق البردى المودعة على كل جثة، الفصول التى نطلق عليها "كتاب الموتى": فهى تهيئ المتوفَّى للمرور أمام محكمة رع (والتى ستصبح فيما بعد محكمة أوزيريس) ويقوم الميزان الإلهى بوزن ضمير المتوفى وأعماله.

وهكذا، فإن كل شخص لديه الطقوس اللازمة للدخول فى الحياة المقدسة[٢٣]. وقد ركز المؤلف فى مقالته عن مذهب مَاعِتْ[٢٤] على النصوص ولم يصف إطلاقاً مشهد محاكمة الموتى[٢٥] بما يقابل مَاعِتْ. وقد أعطى المؤلف الوصف التالى عن هذه المحاكمة فى إحدى المقالات التى خصصها لمحاكمة الموتى:

"كان يوجد فى مجال الموتى قاعة للعدالة المزدوجة؛ حيث يمر المتوفى للمحاكمة أمام محكمة مكونة من ٤٢ إلهاً وقاضٍ أعلى هو أوزيريس. وينصبُّ اهتمام الجميع حول ميزان مقدس يراقبه الإله تحوت Thot. وفى إحدى اللوحات كان يوزن قلب المتوفى ــ أى الضمير ــ فإما أن يكون خفيفاً أو ثقيلاً بالخطايا؛ وفى اللوحة الأخرى، كانت تجلس الحقيقة على شكل تمثال صغير للإلهة مَاعِتْ أو ريشة (رسم الريشة) وهو المعنى الهيروغليفى للإلهة. وكان يجب أن يكون وزن القلب متعادلاً مع وزن الحقيقة: بينما التبرير **الذى قام به المتوفى** من سلوكه كان يتم تثبيته على أنه **صادق وحقيقى**. ويتأكد تحوت Thot وأوزيريس مما **إذا كانت إبرة الميزان** (أو ميزان البناء الذى يحل محله) **ينقصها التوازن اللازم**؛ وما إن تتحقق هذه النتيجة،

حتى يُعلن قبول المتوفى فى الجنة. أما إذا حدث العكس، فمصيره إلى نار جهنم. تلك هى محاكمة الموتى النموذجية".

### ٢ ـ وصف سيجفريد مورينز Morenz

تساءل سيجفريد مورينز[٢٦] فى كتابه "الديانة المصرية" عن مفهوم أفكار مَاعِتْ، وفى إطار هذا البحث، تحدث عن مشهد "محاكمة الموتى"[٢٧] وذكر أن مَاعِتْ هى المقياس الذى يتم عنده محاكمة الإنسان. كما ذكر أنه بسبب الطابع السحرى لنصوص الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى[٢٨] عند قدماء المصريين من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن هذه النصوص لا تعطى أى إيحاء لإصغاء حقيقى من جانب المتوفى[٢٩]، فإنه استند إلى الرسم المميز الذى اعتاد المصريون رسمه بجانب بعض نصوص كتاب الموتى عند "محاكمة الموتى" وذلك لتحديد مفهوم أفكار مَاعِتْ. وقد وُصِفَ هذا الرسم كمشهد لمحكمة الغرض منها محاكمة المتوفى من وجهة نظر أخلاقية.

وفيما يلى وصف الرسم المميز لبعض نصوص الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى عند قدماء المصريين:

"توضح الرسومات هنا والمصاحبة للنص (والتى تضم تفاصيل متنوعة) أن قلب المتوفى المفروض أنه مركز الذكاء والإرادة والمركز الحيوى لبنية الجسم، يتم وزنه على الميزان مقابل الرمز الخاص بمَاعِتْ (والذى يُمثل عادة بريشة). تُعتبر مَاعِتْ بمثابة معيار أخلاقى. أنوبيس Anubis (إله الموتى) هو

المتحكم فى الميزان والمسيطر علــى الريــشة، كمــا يــسجل الكاتب(= إله الكتابة) تحوت الحكم ويعلنه. فإذا كان الحكم فــى غير صالح المتوفى فيصير المذنب فريسة للوحش المهجَّــن[٣٠] ليلتهمه".

ونرى بوضوح شديد أن المؤلف لم يلق نظــرة محايــدة ومركّزة على هذا المشهد، وإنما اكتفــى بإســقاط ملاحظــات أخلاقية عليه. أما الخطايا والمحكمة كما سنرى فيما بعــد، فلــم نجدها.

فإذا كان يستحق القول إنه من الملائم أن يستند إلى مزيــد من الرسومات نظراً لأنها موضع ثقة أكثــر مــن النــصوص الأساسية المليئة بالسحر، فهو لم ينظر إلى هذه الرسومات بــل تأثر أكثر بهذه النصوص. فهل هى بالفعل ساحرة؟

### ٣ - وصف إتيين دريوتون Etienne Drioton

فى مقالــة بعنــوان: "محاكمــة الأرواح فــى مــصر القديمة"[٣١]، يصف المؤلف فيما يلى مــشهد محاكمــة المــوتى (المشهد الخاص بوزن القلب مقابل مَاعِــتْ La Psychostasie)، فى الرسومات المميزة والتفصيلية التى اعتاد المصريون رسمها بجانب بعض نصوص كتاب الموتى، إذ يستقر أوزيــريس فــى أعماق القاعة تحت قبة عرش ملكى بأعمدة وتــساعده إيــزيس ونفتيس Nepththys ومحاطاً باثنين وأربعين قاضــياً[٣٢]. وفــى أقصى الطرف الآخر من القاعة، يتم إدخال المتــوفى بواســطة

أنوبيس Anubis (إله الموت) برأس ابن آوى دليل الأرواح، أو قائد الأرواح. ويُنصب ميزان فى منتصف القاعة. يُقدم قلب المتوفى موضوعاً على إحدى كفتى الميزان، وفى الكفة الأخرى صورة أو رمز لإلهة العدالة مَاعِتْ. يراقب أنوبيس القَبَّان وتحوت برأس الطائر "أبو منجل" يسجل النتيجة على لوحته الخشبية. أما الحيوان الخرافى[*]، فيظهر على هيئة فرس النهر ويجلس جاثماً بالقرب من الميزان فى انتظار تسلُّم الهالك الملعون كطعام له. أما البرىء، فيتم تجاوزه ويتقدم نحو أوزيريس بقيادة حورس.

ويستطرد المؤلف مؤكداً أن:

" النص المصاحب لهذا المشهد تغلغل فيه المعنى بشكل عميق".

**٤ - وصف چان يويوت Jean Yoyotte**

يرجع الفضل إلى مقالة چان يويوت التفصيلية حول موضوع محاكمة الموتى[٣٣]، والتى حاول فيها أن يوضح السؤال الخاص بمعرفة متى وكيف ظهرت فكرة محاكمة الموتى بمعرفة الإله. وقد قدم الوصف التالى بعنوان: "مأساة وزن القلب".

---

(*) ذُكر هذا الحيوان بوصفه "الوحش الملتهم" فى المتن الفرنسى، وهو وصف لا يجانبه الصواب، والأفضل التعبير عنه باسمه المصرى القديم "عم عم" أو "عميت" ويُمثَّل بهيئة خرافية من عدة حيوانات . (المراجع).

"يتقدم المتوفى وهو مُنحنٍ انحناءة خفيفة مثل هؤلاء الذين يحضرون فى المحكمة فى الدنيا أمام كبير القضاة... يوضع قلب المتوفى فى كفة الميزان، وفى الكفة الأخرى يوضع شيء خفيف يرمز إلى مَاعِتْ كريشة أو تمثال صغير أو عين. يقوم أنوبيس وهو الموكل بالميزان "برفع الذراع"، لإيقاف تأرجح القَبَّان بأقصى سرعة وكذلك الاهتزاز الناتج عن الكارثة. لقد حدث التوازن: يقوم الإله ـ الكلب بإعطاء إشارة إلى تحوت، وأحياناً يكون قرداً أو إنساناً برأس طائر "أبو منجل". يأخذ الإله الكاتب لوحته الخشبية لتسجيل التصديق على الميزان. ينتصب "الملتهم الضخم" فوق حصيرته، وقد ارتكز على أرجله النحيلة التى تشبه أرجل الأسد وجرجر أرجله الخلفية الغليظة ذات الجلد السميك، وقد حوّل وجهه بشراهة نحو كاتب المحكمة...".

وبعد أن وصف المؤلف هذا المشهد بإدخال عدة إشارات دقيقة عن الآلهة الحاضرين، استمر فى إنشاد الفصل الثلاثين من كتاب الموتى عند قدماء المصريين بمعرفة المتوفى.

### ٥- وصف يان أسمن Assmann

يُعتبر الكتاب(٣٤) الذى أصدره يان أسمن بعنوان: "مَاعِتْ، مصر الفرعونية وفكرة **العدالة الاجتماعية**" أحدث المواضع الخاصة بدراسة **شاملة ومتعمقة لمفهوم** أفكار مَاعِتْ ودورها فى المجتمع المصرى. **فقد وصف** يان أسمن المشهد الخاص بمحاكمة **الموتى فى الفصل المخصص** للحياة الأخرى والخلود،

وذلك بالاستعانة بنصوص من كتاب الموتى عند قدماء المصريين. كما أبرز الفكرة الخاصة بالانتقال من عالم إلى عالم آخر[٣٥] من خلال محاكمة الموتى. واعتبر أن الإدراك المعنوى لانتقال الروح (البا Ba)[٣٦]، يأخذ شكلاً قضائياً لمحكمة مقدسة[٣٧]. كما شرح كيف أن الروح (Ba) تمثلت فى شكل طائر مرتبطة بصورة وثيقة بفكرة الانتقال بين عالمين. ولهذا أُشير إليها برمز الطائر الذى يطير فيحدث الانتقال بين السماء والأرض. ويختم شرحه بأن الروح (Ba) لفظ "بدئى وانطلاقى"، فهو يرمز إلى الانتقال بين المرئى وغير المرئى[٣٨].

ويرى المؤلف أن الطابع المعنوى والتجريدى لعملية البدء والانطلاق تُترجم بأشكال ملموسة ومادية لصور ورموز وشعائر وطقوس لعملية الانتقال. وهذا بالضبط ما يحدث فى محاكمة الموتى[٣٩].

يعتمد المؤلف أساساً على الشكل النهائى للفصلين ٣٠، ١٢٥ من كتاب الموتى عند قدماء المصريين فى عصر الدولة الحديثة (أى النصوص الحديثة وعليها بصمات السحر والتى استبعدتها تماماً ــ فى رأينا ــ أفكار مَاعِتْ). ومع ذلك، فقد فسر المؤلف أفكار مَاعِتْ بأنها قد "اتجهت بشكل تفصيلى وموسع نحو أخلاق مهنية كهنوتية". وتلعب فكرة المحظورات المقدسة دوراً رئيسياً، ولا تصف الصور التوضيحية التى اعتاد المصريون رسمها بجانب بعض نصوص كتاب الموتى إلا بشكل مختصر جداً.

وأضاف أن "محاكمة الموتى" ما هى إلا شعائر للتدريب والتلقين حسب النموذج الخاص بالتلقين الكهنوتى[٤٠]، وأنه ينبغى

أيضاً الحكم بأن تطهير المتوفى وتخليصه من ذنوبه وخطاياه كما يعبر عنه الفصل ١٢٥[٤١]. وهو ما يوحى به بصورة مختصرة وصف المشهد:

"يتم وزن القلب على الميزان فى كفة، وفى الكفة الأخرى رمز لمَاعِتْ وهو الريشة، حيث تُعتبر المادة الأخف وزناً، وكل شيء فى هذه الحالة يعتمد على مدى خفة وزن القلب. وإذا حدث توازن تام بين الكفتين، دل ذلكِ على أفضل النتائج، لأن الخطايا تجعل القلب ثقيلاً. وعندما يوضع القلب على كفة الميزان، تقف روح الإنسان (Ba) شاهداً. يعمل أنوبيس على ضبط الميزان ويقف بجانبه "الملتهم الأعظم" وهو عبارة عن وحش يراقب عملية الوزن. وفى حالة عدم حدوث توازن بين الكفتين، ينقضُّ الوحش لالتهام المذنب المحمَّل بالذنوب والخطايا"[٤٢].

٦ - وصف إريك هورنونج **Hornung**

تناول إريك هورنونج المشهد الذى يُطلق عليه "محاكمة الموتى" فى فصله الخاص بالسحر، واعتبر أن هذا المشهد له هدف سحرى. وتحدث عن محكمة الحق المقدس[٤٣] وكتب عن "المشهد الخاص بمحاكمة الموتى" ما يلى:

"من المأمول أيضاً أن يكون هناك أثر سحرى عند تمثيل مشاهد أخرى وبصفة خاصة المشهد الخاص بمحاكمة الموتى؛ حيث وجد شكله النهائى نحو منتصف الأسرة الثامنة عشرة مع مثول المتوفى أمام أوزيريس الذى يتبوأ مقعده بصفة قاضٍ،

ويوضع قلب المتوفى فى كفة الميزان وفى الكفة الأخرى ريشة بيضاء وهى إشارة توحى بمَاعِتْ التى ترمز إلى العدالة. وبعد عصر العمارنة، أضيفت إليها أيضاً صورة الوحش الملتهم، ليجسد الوجه والفم على أنه جهنم"(٤٤). لم ينظر المؤلف فى الواقع إلى الصورة، بل انصبَّ اهتمامه على النصوص أكثر من اهتمامه بالصور، ومثل كثير من المؤلفين، فقد أسقط عليها أفكاراً مسبقة ومُتصوَّرة سلفاً عبارة عن مضمون الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى عند قدماء المصريين، وهو مسلك إجرائى نقوم به فى الوقت الحالى للنقد قبل تبنِّى أى أسلوب ملائم.

## القسم الثالث

## نظرة حقيقية على المشهد

### ١ - نقد موجه ضد الأوصاف السابقة

أدت العناوين التى أُعطيت للرسومات الخاصة بالتعرف على محاكمة الموتى أو (La Psychostasie) (المصطلح الفرعونى الذى استخدمه قدماء المصريين فى حساب وزن القلب بما يقابل مَاعِتْ (كالريشة أو التمثال الصغير) أو أيضاً وزن القلب)، إلى تقليص مجال التأمل. وفى الواقع، فإن العناوين التى أُعطيت للمشهد قد برمجت الذهن على التركيز حول فكرة العدالة وفكرة الموت أو حول الفكرة الأخلاقية الخاصة بوزن الأرواح. ومع ذلك، إذا نظرنا جيداً إلى المشهد، فسوف نرى أنه لا توجد محاكمة بالمعنى الحديث للفظ. أما عن الموت، فإنه كان

ممثلاً بشكل حى. فقد كان مشهداً من الحياة يمثل تصويراً لعملية حيوية مثل تلك التى سنراها فيما بعد وبالتفصيل، وليست محاكمة للموتى.

يأتى بعد ذلك خطأ كبير تَمثَّل فى الإسقاط على موضوع القلب، وتصوُّرنا عن الضمير وعن الطهر والنقاء والأخلاق والتى بالتأكيد لم تظهر أبداً فى الرسومات(٤٥). فأحد هذه المفاهيم الأخلاقية يُعتبر معنوياً تجريدياً بصورة مبالغ فيها بالنسبة لعقلية قدماء المصريين التى تتميز بالطابع المادى الشديد. فهى ليست سوى عملية "رد فعل" من جانب المراقبين. وكما سنرى فيما بعد، توجد حول فكرة القلب بعض الأشياء الجوهرية وهى أكثر مادية عند ملاحظتها، وكذلك فيما يتعلق بفكرة الميزان الذى كان يُستخدم فى "وزن القلب" فإنه لا بد من ملاحظة أن هذا التفسير حديث جداً وصدر عن رؤية مادية بحتة لرمز الميزان.

وكيف يمكن فهم التعبير المصرى(٤٦) ابتداء من هذه الزاوية المادية: "يجب أن تكون كالميزان" ؟ وفى حدود كون الميزان عبر العصور والثقافات المختلفة أداة للتجارة والمعاملات ويُستخدم فى الوزن، فقد نقلنا هذا المشهد الخاص بالوزن ونسينا تماماً فكرة التبادل التى تضمنتها دائماً، وقبل أن يصير الميزان أداة صالحة لتسهيل التبادل التجارى، كان يُستخدم أولاً كرمز كونى (عالمى) ممتاز: أى كان يمثل دورة الطاقة الكونية. وهناك نص مصرى(٤٧) يطلب من الإنسان ألاَّ يكذب وأن يكون مثل الميزان فى معاملاته؟ وليس ذلك فى ضوء الوظيفة المادية للوزن حيث يمكننا فهم **هذا الأدب** المصرى، فإنه يأخذ المعنى كاملاً إذا استبعدنا **نظرتنا الحديثة** والمادية لرمز الميزان.

وعلى أى الأحوال، إذا نظرنا للصورة جيداً، فسوف نجد أنفسنا مقيدين بقبول مبدأ أنه لا ينبغي وجود عملية وزن، وإنما الرسالة الأساسية بعيدة عن الوزن وأكثر قرباً للتبادل: فلننظر إذاً إلى المشهد الذى نفضل أن نسميه "العدالة تُمارس"، ولندعها تتحدث وألا نلقى عليها جميع الآراء المسبقة غير المبنية على استدلال صريح، وألا نتركها تتأثر بآداب السحر التى وصلت إلينا.

ويحذر هنرى فرانكفورت من هذا الأدب(٤٨)، موضحاً كيف أن جميع الآداب الجنازية تتميز بالخوف من الموت(٤٩)، كما ينتقد المؤلف علماء الآثار الذين اعتقدوا فى إمكانية حذف الأفكار الأخلاقية الثابتة والوساوس والقلق من محاكمة الموتى عند قدماء المصريين.

وفى رأى هنرى فرانكفورت، أن هذه الآداب الجنازية لا يجب أن تؤخذ بدرجة عالية من الاعتبار وألا توضع على المستوى نفسه من الأفكار الثابتة الخاصة بالعدالة(٥٠). وأجرى المقارنة التالية المليئة بحسن الإدراك والعقل السليم:

"ليس غريباً أن هؤلاء الذين تناولوا موضوع الديانة المصرية بدءًا من الاقتباس والتوافق يعتمدون على النصوص المكتوبة مع التركيز على الجزء الأقل تطوراً من السكان". وخلُص إلى أن المعتقدات المصرية فيما يتعلق بالحياة الأخري كانت فاقدة المعنى ولكن لو فعلوا ذلك، فسيكونون كشخص يحكم على معلوماتنا عن الفلك من خلال دراسة الكواكب والنجوم المنشورة فى الصحافة"(٥١). ولو وضعنا فى الاعتبار الملاحظات

التى ذكرها هنرى فرانكفورت والوثيقة الصلة بالموضوع، فإننا سنصف فيما بعد أحد الرسومات الأكثر شهرة لمشهد محاكمة الموتى. وبدون أن نضع الأدب الجنازى جانباً، فسوف نهتم فى فترة زمنية تالية بالدلائل خاصة ما يتعلق بجميع الاجتيازات والعبور التى تتعلق بفكرة القلب وعمله عند قدماء المصريين.

## ٢ــ وصف حقيقى للمشهد



إن المشهد الذى سنقوم بوصفه فيما بعد هو ذلك الذى يُظْهر الصور التوضيحية التى اعتاد المصريون رسمها بجانب بعض نصوص كتاب الموتى لـ حونفر Hunefer الذى عاش حوالى عام ١٣١٠ ق.م. وقد ظهرت الصورة كلياً أو جزئياً فى الكتب العديدة المخصصة لمصر، ومن السهل جداً لأى قارئ أن يدخل عليها (انظر أيضاً مواقع الإنترنت وكذلك فى صفحة ٥٥ من هذا الكتاب).

توضح لنا هذه الصورة رجلاً بملابس بيضاء، وهـذا ما يردده علماء المصريات بأن قدماء المصريين كـانوا يرسـمون المتوفى[٥٢] وقد أمسكه من يده كائن برأس حيوان (وهو أنوبيس إلـ الموت)[٥٣] حاملاً بيده علامة عنخ Ankh [٥٤]. تتقدم هاتـان الشخصيتان نحو ميزان بحيث يلفت الوضع فى الوسط الموجود فى الرسم الانتباه بشدة، وكذلك على الوصف الذى سنرجع إليه بالتفصيل فيما بعد. وتحت الميزان، نرى بعد ذلك نفس الإله (إله الموت) أنوبيس جاثماً على ركبتيه وهو يقوم بـضبط الميـزان وبجانبه حيوان بجسم غير متناسق ومركـب يُـسمى "الملـتهم الأعظم"[٥٥] أو الشره الكبير؛ حيث يوجه جسمه نحـو الخلـف لينظر إلى المتوفى الذى مر من أمامه.

وهذا الرسم المزدوج للإله أنوبيس أولاً وهو واقف يقـود المتوفى من يده، وثانياً وهو جالس القرفصاء ليضبط الميـزان. كما أن حركة رأس "الملتهم الأعظم" المتجه نحو الخلف لينظـر إلى المتوفى الذى مر للتوِّ توحى بشكل واضح بالحركة والمرور ودورة المتوفى. يعطى المشهد إيحاءً بالصلة الواضحة بين مبدأ التوازن وفتح ممر للمتوفى نحو الحياة؛ وعكس ذلك بين عـدم التوازن وإغلاق الممر نحو الحياة؛ مما يعنى الموت مرة أخرى: يلاحظ كائن برأس الطائر"أبو منجل" وهو الإله تحوت[٥٦] نتيجة "اختبار الميزان"، والذى يشير بوضوح شديد إلى أن الأمر ليس محاكمة وأننا لسنا فى محكمة. يُعبر الميزان دائماً عن الحقيقـة دون تدخل آخر مهما كانت أهميته. فهو قانون كونى آلى وشامل يُنفذ، وعلى هذا الأساس تم تصويره. من المدهش أنه فى وسط المشهد، يوجد الميزان الذى يحدد فى الحال أحداثاً. فبسبب عمله الدقيق والميكانيكى لا يتيح أية فرصة للغش[٥٧]؛ حتى إن المرور

نحو شكل آخر من أشكال الحياة يفتح لروح المتوفى أو يقفل أمامها ولا يعطى لها أى منفذ سوى الاتجاه نحو الموت مرة أخرى. وفى هذا المعنى، فإن الميزان هو أداة الحقيقة، ويمكننا أن نلاحظ أنه مغطى برأس مَاعِتْ (أو بتصوير آخر توجد الريشة فقط)، فالأمر لا يخرج عن مجرد تشغيل آلى لقوانين الطبيعة. كائن آخر برأس طائر(٥٨) يحمل فى يده علامة عنخ Ankh رمز الحياة يعطى إشارة بيده ليفتح الطريق أمام المتوفى؛ ليتجه نحو الإله أوزيريس الجالس على عرشه ليستقبل الموتى. وفى وسط الصورة يوجد ميزان كفَّتاه فى حالة توازن ويمثل بلا شك مَاعِتْ وهى تعمل. ومن ناحية أخرى، يوجد فى بردية حونفر Hunefer رأس الإلهة مَاعِتْ وهى تغطى أعلى الميزان، وأيضاً فى إحدى كفتيه على هيئة ريشة بيضاء.

تلك هى الفكرة الرئيسية التى تتنوع فقط من خلال تفاصيل دقيقة جداً(٥٩)، والتى هى حسب مفهومنا الرسالة الأكثر أهمية والأكثر نفعاً لإدراك فكرة مَاعِتْ. ولننظر إذاً عن كَثَب إلى ما يوجد فى كل من كفتى الميزان ونتأمل ما يحدث حقيقة. ولذا؛ علينا أن نحاول أن ننظر للموضوع بنظرة مادية وملموسة وأقرب للطبيعة الخاصة بقدماء المصريين. وفى إحدى الكفتين نرى وعاء يمثل قلب المتوفى(٦٠)، وفى الكفة الأخرى، وضعت ريشة بيضاء تمثل مَاعِتْ. وإذا نظرنا إلى المشهد نظرة واقعية، فينبغى أن نقبل بما يلى:

١ - على الصعيد المادى البحت: أن ريشة فى كفة وقلباً فى كفة أخرى لا يمكن الحصول بهما على نتيجة للتوازن الذى ظهر أمامنا(٦١).

٢- على المستوى المعنوى التجريدى: أن كائناً بشرياً لا يمكنه القيام بعملية الوزن أمام آلهة، فلا يقوم إذاً بعملية الوزن وإنما بشيء آخر. إن صغر حجم الأشياء الموضوعة فى الكفتين مراعاة للقامة الطويلة للميزان يوحى بأن المطلوب هو إحداث التوازن، مع ملاحظة أنه ينبغى الحصول على التوازن عن طريق الآلة وهى الميزان والتى تشكل الرسالة الرئيسية للمشهد. ولكن إحداث توازن لأى شيء؟ وتوازن لماذا؟ لننظر مرة أخرى إلى كفتى الميزان: فالقلب[٦٢]، أليس هو أولاً، وبشكل ملموس وواضح عضو الدورة الدموية؟ ومن المعروف أن قدماء المصريين كانوا يوقرون كل ما هو مادى وملموس[٦٣] وأيضاً رسوماته[٦٤]. فالريشة بدورها توحى بطائر يهبط من السماء نحو الأرض ويحلق من الأرض نحو السماء، ويرمز بذلك إلى الضوء أو الطاقة الشمسية[٦٥].

وبسبب خفة وزن الريشة، فإنها ترمز إلى طاقة غير عادية، وبلونها الأبيض، فإنها توحى إلى الضوء الشمسى[٦٦]. فالريشة عنصر مرتبط بالطائر المذكور، وهو الكائن الحى الذى يعبر الأجواء ويسافر من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى الأرض. ويمثل من الناحية الرمزية الطاقة الكونية التى تتجول بحرية حول الأرض وفى الأجواء، شأنها فى ذلك شأن الطائر. توضع هذه الطاقة فى حالة توازن مع القلب وتستلزم أن يكون القلب مرتبطاً بهذه الطاقة. وفى الواقع، فإن القلب هو العضو المناوب الذى يجذب مَاعِتْ ويجعلها تدور للمحافظة على

التوازن فى العالم الصغير (الإنسان بوصفه صورة مصغرة من العالم) وفى العالم الأكبر (الكون)، وأنه من خلال هذا التوازن تسرى الحياة وتنتشر. كما يجب ملاحظة أن تقديم القلب فى جَرَّة توحى بطابع الوعاء لهذا العضو الذى يُصب فيه ويُسكب منه. ولو نظرنا إلى الصورة بقصد المعرفة ودون إسقاط آراء مسبقة غير مبنية على استدلال صريح، فإننا نضع فى المشهد مبدأً كونياً فى غاية البساطة، وفى الوقت نفسه فى غاية التعقيد.

ونتيجة لارتباطنا الوثيق بالعالم المادى، أصبح لدينا اتجاه بأن ننسى أن الميزان(٦٧) أولاً هو رمز التبادل. وفى مصر القديمة، فإن الرمز لا بد أن يكون عالمياً (كونياً) حتى يتم تبادله بمَاعِتْ، أى بالطاقة الشمسية. ويبدو أنه كانت توجد فى تلك العصور القديمة معلومات ومعرفة دقيقة عن كيفية حدوث دورة الطاقة الكونية التى أخذوا منها عدة تطبيقات؛ وبصفة خاصة على مستوى العدالة. فكان قدماء المصريين يولون اهتماماً كبيراً بعالم الأحياء وبأن ما من شىء حى فى هذا الكون من أكبره إلى أصغره، بل لأصغر دودة فى الأرض إلا ويساهم فى دورة الطاقة الكونية. ومن الممكن أن نستنبط من محاضرة مخصصة لهذه الصورة بأن القلب البشرى يلعب دوراً فى دورة الطاقة هذه، سواء على الصعيد الأرضى أو على المستوى الكونى. وسوف يتأكد هذا الاستنتاج كما سنرى فيما بعد، سواء بأقدم نص فلسفة مصرى تم العثور عليه (نص علم اللاهوت المنفى) عن طريق نصوص أخرى عن الحكمة، وأيضاً عن طريق الانتقال عبر مسالك كتاب الموتى عند قدماء المصريين وصلتها بعمل القلب وعلاقته بمَاعِتْ.

وفى نهاية الملاحظة المثيرة للانتباه لهذه الصورة، يمكننا أن نؤكد على النقاط التالية:

١ - لم يؤدِّ الرمز الرئيسى للمشهد الذى يُقال عنه "محاكمة الموتى" إلى ظهور اعتبارات أدبية أخلاقية[٦٨] (ولم يُظهرها سوى الاعترافات)[٦٩].

٢ - وعلى النقيض من ذلك، فالمقصود هو إرجاع خالص وبسيط إلى قانون طبيعى ميكانيكى وفيزيائى وكونى. ولا يمكن لأى كائن أن يقرر مصير المتوفى، وإنما الميزان هو الذي يكشف حالة قلب المتوفى. فهل هذا القلب هو الذى ترك الحياة تأخذ دورتها؟

٣ - تتيح حالة معينة للقلب التمكن من دورة مَاعِت. تؤدى هذه الدورة إلى إحداث التوازن الذى يفتح الطريق نحو أفضل شكل من أشكال الحياة. فالقلب المغلق أمام مَاعِتْ معناه عدم حدوث دورة الطاقة ويمنع الوصول إلى التوازن ويفتح الطريق ليس أمام أفضل شكل من أشكال الحياة، وإنما نحو عدم التوافق وعدم الاتساق ثم إلى الموت. أما الحيوان المركَّب الذى يبدو فى نظر المتخصصين على أنه وحش، فليس سوى تمثيل لمبدأ الموت. لاحظوا جيداً "عميت Ammit" "الملتهم الأعظم". ولماذا يشعر المصريون بالتسلية عند وضع وحش فى هذا المشهد؟ ولا ننس أن المشاهد كانت ملموسة بشكل مادى وأن الفنانين لم يُتركوا ليرسموا أى شىء على هواهم. وفى الواقع، فإنَ "الملتهم الأعظم" لم يكن سوى تمثيل رمزى ومحدد لمبدأ الموت. وكون جسم الوحش

مركباً ليس لهدف فنى، وإنما هو أن يُظْهِر بصورة رمزية كيف يأتى الموت بغتة.

وعلى عكس المشهد الرئيسى للميزان، فإن الجسم يتحلل ويتفكك فى غياب مَاعِتْ ويختفى. ذلك أن الفم المفتوح يوحى بالفناء والاختفاء والتفتت والانحلال.

٤ - كان دور الشخصيات ينحصر فى انتظار نتيجة ما نظرنا إليه بالخطأ، وأن نفسره على أنه مجرد عملية وزن بسيطة. وبسبب اقترابنا العقلى والمادى الشديدين من الميزان، فلا ننس أن الميزان قبل أن يكون أداة للوزن هو أولاً الأداة والرمز المفضل لعملية التبادل والمقصود بالتبادل هو الدورة.

٥ - من المحتمل أن تكون هناك معلومات أخرى كثيرة مفيدة بدرجة كبيرة ومركَّزة فى هذه الصورة الوحيدة وفى صور أخرى مصرية، ولكن علينا أن نكتفى باستيعاب المعلومات المأخوذة من هذه الصورة، وأن نلخص ما يمكننا صياغته على هذا النحو:

*قانون التوازن:* إن هذا التوازن الذى يؤدى إلى دورة الطاقة الكونية (وهى طاقة غير مادية) وإلى اتساع وتمدد الحياة، كما ينبثق من هذه الفكرة أفكار الرفاهية والصحة والحرية والازدهار[٧٠]. تلك هى الدورة التى لا تعوق طاقة مَاعِتْ، والتى تؤدى إلى تحقيق هذا التوازن (المترجم). ونتيجة لذلك، فمن المهم جداً، أن نفهم رسالة المشهد المُعبَّر عنه بالـ Psychostasie

(حساب وزن القلب بما يقابل مَاعِتْ) ومعرفة ما تعنيه كلمة مَاعِتْ بالنسبة لقدماء المصريين، وأن نفهم كيف كانوا يواجهون القلب. وابتداءً من مشهد محاكمة الموتى (مشهد حساب وزن القلب أمام مَاعِتْ (Psychostasie))، أمكننا استنباط أن مَاعِتْ ما هي إلا طاقة شمسية وكونية. ولنر في الوقت الحالي كيف أن علماء المصريات ومؤرخي الأديان قاموا بإعطاء تعريف لمَاعِتْ.

# الفصل الرابع

# عدالة تضيء
# الحضارة المصرية

كان يان أسمن Assmann[1] قد ذكر فى كتابه أن مفهوم مَاعِتْ يُعتبر مفتاحاً لإدراك عالم مصر القديم. ومع ذلك، فهى إحدى الأفكار الأكثر صعوبة لتحديدها بالنسبة لفكرنا الحديث؛ وذلك لسببين رئيسيين:

١- نبحث فى تقريب مَاعِتْ بمفاهيم وأفكار معروفة فى عالم القضاء الحديث، بينما ذكر إريك هورنونج Hornung أنه لا يوجد لفظ أو اصطلاح ذو صلة بالعدالة ومطابق لمَاعِتْ فى أية لغة[٢]. ويذكر هذا المؤلف أن قدماء المصريين لم يتركوا لنا تعريفاً واضحاً عن مَاعِتْ. ورغم ذلك، فإننا سوف نرى أنهم قاموا بتعريف مَاعِتْ عدة مرات، خاصة فى طقوس تقدمة الماعت ولكنهم لم يعطوا تعريفاً مقبولاً للماعت أمام أعيننا.

٢- سبب آخر أساسى أننا تعودنا ذهنياً عند معالجة المسائل الكبرى أن نقوم بتقسيمها إلى مشاكل صغيرة وكل مشكلة لها تخصصها. ومن المستحيل أن ندرك المفهوم المصرى

للماعت إذا تمت دراستها بصورة منفردة على أساس أنـه فى مصر القديمة، كل شيء كـان متكـاملاً ومنـدمجاً[٣]. بالإضافة إلى ذلك فإننا ولكى نفهم مَاعِتْ، لا ينبغى فـصلها عن "رفيقها": وهو القلب الموضوع فى الكفة الأخرى مـن الميزان فـى مـشهد محاكمـة المـوتى (Psychostasie) والموجود فى كتاب الموتى عند قدماء المصريين. كما يجب معرفة كيفية استخلاص الأمور القضائية والقانونيـة مـن الأدب المصرى الذى وصل إلينا والعناصر المفيدة لإدراك مفهوم مَاعِتْ. فهى مرتبطة أساساً بعمل الجـسم البـشرى ونشاطه ابتداء من القلب. وفى الواقـع، فـإن هـذا الأدب لا يقدم طابعاً متجانساً[٤] ووثيق الصلة بهذا الموضوع. بـل إن جميع الآداب المصرية القديمة تحتوى على خلـيط بـلا نظام فى النص نفسه، بل فى الجملـة نفـسها تتـوع فـى المعلومات ذات القيمة غير المتكافئـة[٥] والحكمـة غيـر المتساوية والمختلفة من عصور مختلفة تماماً، وكما أظهـر چان يويوت فيما يتعلق بمحاكمة الموتى وجـود "مـدارس" مختلفة الفكر.

وفى الواقع، فإن إحدى السمات المميزة لمصر وكمـا أوضحها ألكسندر موريه هى مَلَكة الحفظ والترسيب. فكـل شيء مثل التربة المصرية[٦] حيث خلفت العقلية المـصرية ماضياً وعرفت كيف تحـافظ عليـه[٧] بطريقـة تـستحق الإعجاب. وقد أكد الكتبة المصريون أنهم غالباً مـا نهلـوا كتاباتهم من مصادر قديمة جداً[٨]، وتحققت تلك الملاحظـات بصفة خاصة فى نصوص الحكمة وكذلك فى كتب المـوتى عند قدماء المصريين، وهى مؤلفات تُستلهم مـن نـصوص

سابقة خاصة نصوص الأهرام[٩] والتي سوف تتضخم على مر السنين وتمتلئ بالجَزَع والغمِّ المتزايد لشعب مصر فيما يتعلق بالآخرة[١٠]. ولذا، فمن الأنسب أن نتناول هذه النصوص بطريقة مختلفة جداً عن تلك التي سنتبناها بالنسبة للنصوص الحديثة. ولكي نفهم جيداً التصور المصري عن العدالة، يجب أن نختار من خلال الأدب المصري بأكمله المعلومات التي تقدم سمات ثابتة، حيث إن المعلومات التي وصلت إلينا تتضمن في آن واحد الشمس ومَاعِتْ ووظائف الجسم البشري، وكما لاحظ بيير جريمال Grimal بمناسبة الميل إلى التكرار الذي قام به قدماء المصريين وأن عقليتنا الحديثة استهجنته[١١]... "من الضروري، كي نقرأ هذه النصوص أن نتنازل عن موقفنا إزاء أية كتابة".

وإذا اتبعنا نصيحة هذا المؤلّف، فمن الممكن أن نستغل مَاعِتْ كمفتاح لفهم عالم قدماء المصريين وإدراكه ونعيد تشكيل لوحة متجانسة عن التصور المصري للعدالة. ولكي نحصل على المفهوم الأصلي للعدالة في مصر القديمة، فقد بحثنا كل المعلومات المفيدة لفهم التصور الخاص بمَاعِتْ وإدراكه؛ وذلك من خلال الأدب المصري. وقد تُرجمت المعلومات الخاصة بمَاعِتْ منذ فترة طويلة بمعرفة علماء الآثار المصرية وبطريقة وافية في أغلب الأحيان. ورغم ذلك، فلم يتم تجميع هذه المعلومات في صورة مترابطة عن العدالة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن مَاعِتْ كانت من ناحية، في أغلب الأحيان معزولة عن العوامل التي تساعد على فهمها وإدراكها (عمل القلب بصفة خاصة)، ومن ناحية أخرى، الغموض والتعتيم نتيجة لإسقاط أفكارنا الحديثة.

وسوف نسجل فى الهوامش أو فى المتن النصوص المصرية التى استقينا منها المعلومات ذات الصلة بالموضوع؛ من أجل الوصول إلى تفهُّم مفيد لمفهوم أو ماهية الماعت الذى يتيح الإجابة عن النقاط المختلفة التالية:

- تعريف مَاعِتْ والنقيض لها.
- كيف أنتجت دورة مَاعِتْ آثاراً إيجابية.
- كيف تنتشر مَاعِتْ فى المجتمع البشرى.
- العقبة التى تقف أمام انتشار مَاعِتْ داخل المجتمع البشرى.
- كيف تتيح مَاعِتْ إدراك مبدأ تكامل كل مجالات الحياة فى مصر.
- لماذا لم تكن مَاعِتْ هى العدالة، رغم أنها مع القلب العنصر الأساسى.

## القسم الأول

## ما مَاعِتْ وما نقيضها ؟

مَاعِتْ وكما أخبرتنا جميع النصوص هى طاقة كونية تصل إلى الإنسان بواسطة الشمس[١٢] والآلهة وأيضاً الفرعون. كما نجد التعريف نفسه عن مَاعِتْ فى أحد أسماء رمسيس الثانى والذى يُسمى أوسر ماعت رع (Ouser Maatrê – Setepenre)، ومعناه: " مَاعِتْ" هى قوة رع والمختارة من رع[١٣].

وتظهر هذه الطاقة الكونية على شكل ضوء[١٤] أو قوة[١٥] على المستوى البشرى، وتنصرف أيضاً إلى سعادة وصحة وقدرة وحياة[١٦] ورخاء واستقرار (أفقياً واستقامة وتوازناً)[١٧] وانسجام. وتذكر إحدى فقرات نصوص التوابيت (متون التوابيت) أن مَاعِتْ هى الحياة[١٨]. ويمكن أيضاً فهم مَاعِتْ بالآثار النقيضة[١٩] المترتبة على غيابها.

فعدم وجود مَاعِتْ معناه: الظلام وعدم الانسجام، وفقدان الحيوية والبؤس والشقاء والمرض والخراب والموت.

إن نقيض مَاعِتْ هو إسفت (Isfet)[٢٠]. وهذه الكلمة المصرية تُرجمت: فوضى، ولكن علماء المصريات صادفوا كثيراً من الصعوبات فى الترجمة عن كل ما يتعلق بمَاعِتْ ، وهذا ما ذكره إريك هورنونج الذى كتب يقول: إسفت هى لفظة ذات معنًى غامض وتعنى شيئاً ما يوحى بعدم العدالة والفوضى والغباوة والجهل فى الكلام أو التصرف (دى بَكْ "De Buck" كان يريد أن يترجمها مباشرة إلى الفوضى). كما نجد أيضاً كلمة (gereg) بمعنى: "الكذب"، و(chab)، أى: الشخص الملتوى. أما بالنسبة لمَاعِتْ فتنساب عنها معانٍ، مثل: "العدالة، الأصالة والصدق، والانضباط، والنظام والاستقامة"[٢١].

أما چان يويوت، فكتب يقول:

إن الشخص الذى يتلوَّن تقريباً بالمثالية والالتزام بالأعراف المقررة سياسياً واجتماعياً وبالأخلاق والآداب المصرية، يجب أن يكون متفقاً ومفاهيم مَاعِتْ. فالعادل والرجل الخيِّر والسعيد فى الحياة الأخرى سيكون "ماعتياً"، أى منتمياً إلى

مَاعِتْ. أما الظالم والمتآمر على الملك والمنتهك للحرمات والمخل بالنظام والذى يتهجم على النظام الأساسى للأشياء، فهو (Isefety) ينتمى إلى الإسفت وهى كلمة تعنى المناقض لتعاليم مَاعِتْ ومفاهيمها. وتترجم هذه الكلمة بمعنى: "الفوضى"[٢٢].

ومع ذلك، فنحن نعرف من خلال عدة نصوص أن مَاعِتْ حطمت أعداء رع[٢٣] والذى هو الظلام[٢٤]، وعندما نترجم مَاعِتْ بالضوء الذى يخلق الحياة، فمن السهل التعرف على إسفت "Isfet" (الظلام) الذى يؤدى إلى الموت وأن نفهم جيداً لماذا كان رسم قرص الشمس بالأسود فى الكتابة الهيروغليفية معناه العدم[٢٥]. ولماذا لا نقدم مَاعِتْ إلى إله الحرب[٢٦]. وفى إحدى فقرات أنشودة موجهة إلى "خنوم" يشبه الضوء بالحياة[٢٧]. وعلى الصعيد الكونى، تؤدى دورة مَاعِتْ إلى حدوث التوازن الكونى؛ حيث إن "استقرار" رع (الشمس)[٢٨] فى السماء يُعتبر عاملاً فى غاية الأهمية فى عيون قدماء المصريين. فمَاعِتْ هى الطاقة التى تغذى الكون بأكمله، كما تغذى الشمس التى تمدها بالتنفس[٢٩] وتغذى جميع الآلهة، مما يفسر الكتابة الهيروغليفية لمَاعِتْ () التى توحى بالقاعدة والأفقية.

## القسم الثانى

## التأثيرات الإيجابية لمَاعِتْ من خلال دورتها

ولكى تُظْهر ماعت النتائج المباركة المترتبة عليها، يجب أن تتمكن من إتمام دورتها دون عوائق. ومن هنا جاءت أهمية

الطقسة الفرعونية الخاصة بتقديم الماعت إلى الشمس. فينبغي على فرعون أن يعمل على المحافظة على استمرار الدورة الكونية بأن يرد المَاعِتْ إلى الشمس الذى استقبلها بنفسه من خلال قلبه والتى نفذت إليه بكرم. فمن خلال هذه الطقوس، يشارك فرعون فى النظام الكونى، بينما الكائنات البشرية لديها نداء باطنى وإرشاد ربانى وذلك بفضل عضو فى الجسد وهو القلب حيث يساهم فى تنظيم جيد للعالم الصغير وهو الإنسان، والعالم الأكبر وهو الكون. أما عن الشمس، فإنها تعمل على إحياء جميع القلوب(٣٠)، حيث تستنشق مَاعِتْ(٣١) وتتغلغل طاقتها فى القلوب(٣٢)، بينما القلب هو مصدر الحياة لكل كائن بشرى(٣٣). فهو كلى الوجود فى الأدب المصرى وفى تعبيرات عديدة انبثقت من هذا المفهوم.

فالمصرى القديم ينصت بقلبه(٣٤) ويفهم بقلبه ويتحدث بقلبه، ويقرر بقلبه(٣٥)، ويعرب عن رغبته بقلبه(٣٦)، وهو يهتدى على طريق الحياة بفضل قلبه(٣٧). إنه يعيش بفضل قلبه"(٣٨)، ويتحدث من قلب الشمس والآلهة "تتحد مع الشمس بفضل القلب(٣٩)، وتتحد روحه با (Ba)(٤٠) مع القلب، ومن له قلب نقى(٤١) ومستقيم فإن هذا القلب يحميه عندما ينام(٤٢) ويعيش بفضل طاقة القلب أثناء النهار. فعندما يتعب قلبه ويُرهَق، تشعر باقى أعضاء الجسم بالضعف، بل ويحدث أن قلب الحيوانات يُعتصر بالبكاء"(٤٣). وباختصار، فإن المعلومات الخاصة بالقلب لا ينقصها شىء(٤٤)، ومن السهل أن نفهم من خلالها كيف أن مَاعِتْ تدور فى المجتمع البشرى.

## القسم الثالث

## دورة مَاعِتْ فى المجتمع

تقوم مَاعِتْ بدورتها من خلال القلب البشرى. ومن هنا جاءت أهمية الفقرات التى تحتوى على معلومات ثابتة تماماً، تتعلق بالقلب مع الاهتمام بعدم تشويه معانيها. ولكى نتفادى تشويه معانى هذه الفقرات، فإن الترجمة الحرفية غالباً ما يذكرها المترجمون بأنها تؤكد المعنى بشكل أوضح عن الترجمة غير الحرفية لأنها (أى الترجمة غير الحرفية) تكون محملة بشكل كبير بإدراكنا الحديث والمادى الطاغى فيما يتعلق بالعالم، أو غير المادى بالنسبة للحدث الدينى. أُدخلت الترجمة الحرفية فى سياق العقلية المصرية وفى إحساس هذا الشعب الذى لديه معنى سليم وذو فائدة كبيرة. ولن نضع فى الاعتبار مثلاً الترجمة التالية التى قام بها جى راشيه عن " تعويذة لمنع قلب آنى من أن يشهد ضده"، الفصل ٣٠ــ B من كتاب الموتى لآنى Ani.

تلاوة الأوزيريس آنى Ani أن يقول: "قلب أمى، قلب أمى، قلب أشكالى، لا تقف معارضاً ضدى لحظة الشهادة، لا تدفعنى أمام القضاة المقدسين، لا تبتعد عنى أمام حارس الميزان. فأنت العضو الفعَّال فى جسدى (الطاقة Ka) وأنت المنظم والمشغل الذى يجعل أعضاء جسمى تشعر بالازدهار والرخاء"(٤٥).

ولكن الترجمة الحرفية التى ذكرها فى مذكراته: للعلم: "قلبى أمى مرتان، مصيرى إلى الوجود".

واحتفظ فيما بعد بما كتبه:

"الفصل رقم ٣٠ـ B: صيغة قرابين مقدسة إلى كل الآلهة، آني Ani المبرأ في الجبانة (Khert Neter) يقول: قلبي، أمي، أمي، قلبي أنت مصيري فلا تقف ضدي أثناء المحاكمة. لا تدفعني أمام القضاة المقدسين، لا تبتعد عني في حضور حارس الميزان. أنت المنظم لكل أعضاء جسمي (الطاقة Ka) (أنت خنوم الذي يعطي القوة لأعضاء جسمي). هل تستطيع أن تخرج نحو مكان الجمال الذي نتجه نحوه؟ لا تجعل اسمي كريهاً ومقيتاً في الساحة التي تعطي الناس موقعهم (مكانهم)"(٤٦).

وفي الواقع، فإنه لكون القلب المركز الحيوي للإنسان أي وبصورة ملموسة جداً: هو الذي يغذي وينقل الحياة (كالأم) في الفكر المصري القديم، فإنه من الأمور الأكثر واقعية أن نحتفظ بالمعنى الحرفي: "قلبي، أمي، أمي" بأن قلب أمي يحمل معاني كثيرة(٤٧).

وبالطريقة نفسها، فإننا نفضل الترجمة الحرفية التالية:

"تصل أشعتك على صدري" (حيث توحي بحدث مادي ملموس وهو تغلغل أشعة الشمس إلى قلب Ani)، وفي الترجمة التي احتفظ بها المترجم للعلم: "كم أعشق جمالك أمام عيوني والذي صار روحاً (Akhou) على صدري" والتي من أجلها أعطى المؤلف الأسباب التالية:

"فضلت ترجمة de (من) ... إلى par (بـ أو بواسطة): "tebeautés" (مفاتنك / أصبحت نفحات روحانية على صدري". وفي نص كلاسيكي آخر "وصلت أشعتك على صدري"، لأنه

يبدو لى أنه يجب إظهار الجانب الروحى لأشعة الشمس. وتم تماثل الضوء الشمسى بالنور الروحانى الذى يضىء الروح ويجعل من الميت روحًا ساطعة(٤٨).

ولكن، هيا بنا نعود مرة أخرى إلى مَاعِت. وفى الواقع، فإن النصوص تعلمنا أن مَاعِتْ تدور جيداً. كما لاحظنا أنه فى مشهد محاكمة الموتى، فإن القلب ممثل هنا بإناء، وقد استنبطنا منه أن رسم القلب كان يرمز إلى صفة "وعاء" القلب البشرى، وفى الواقع، فإن القلب يستقبل مَاعِتْ الشمس(٤٩) ويستميلها بالإنصات(٥٠) وبالأحاسيس.

وقد كُتب فى الفصل ١٨ من برديات آنى Ani ما يلى:

يقول الكاتب: "يا أوزيريس آنى، إنى قادم إليك والقلب ملىء بالماعت"(٥١). وفى فقرة أخرى يقول آنى: "اسكب مَاعِتْ فى قلبى"(٥٢). وتعلمنا "نبوءة نيفرتى" Neferty أن: "قرص الشمس الذى تغطيه السحب لم يعد يسطع؛ وبالتالى لا يتمكن الناس من رؤيته وتصبح الحياة صعبة إذا غطته السحب وسيُصاب البشر بالصمم(٥٣) إذا حُرموا من تلك الأشعة".

فالقلب البشرى هو القوة الموجهة الفيزيائية لدورة الطاقة(٥٤). لقد أدركت مصر جيداً وقبل عصر المعلوماتية الحديثة(٥٥)، وهذا على صعيد الكون، أى جزء يمكنها استخراجه من قانون المرور/ أو عدم المرور للطاقة غير الملموسة من خلال جسم مادى "يدير القوة"(٥٦). إن مشهد محاكمة الموتى، لهو حصيلة رمزية جديرة بالملاحظة لهذا النوع من المعرفة.

إذا كان القلب مفتوحاً أمام ماعت، أى إذا كان يجذب جيداً وينصت[٥٧] جيداً إلى الطاقة الكونية، فهذا شيء طيب فى حد ذاته، لكنه ليس كافياً لخلق التجانس. كذلك هل يجب لهذه الطاقة أن تدور أى ينبغى أن تنتشر بصورة سليمة، ويتم ذلك أساساً من خلال اللغة (أى الكلام) ومن خلال الأفعال (أى سلوك البشر وحركاتهم). ولذا؛ فمن السهل أن نفهم لماذا منحت كثير من الحضارات على المستوى القانونى أهمية قصوى "للحديث الذى يُعبِّر عن الوعد" أو فى النشيد الصحيح "لصيغ القانون فى القانون الرومانى القديم". أما الكلام، بأن مَاعِتْ التى تستقر فى لب القلب قد تحولت[٥٨] (قلب تحولاتى)[٥٩] وتنتشر من خلال اللغة. ومنها جاءت التعبيرات التالية المستخدمة فى أحد النصوص "إنه ليس قط مساندة صوتى"، ويعنى حسب تفسير كلير لالويت: "ليس معنى ذلك أن أحكم بالعدل"[٦٠].

## القسم الرابع

## عراقيل أمام دورة مَاعِتْ

توجد عدة طرق لعرقلة دورة مَاعِتْ، ومن هذه العراقيل الكذب بصفة خاصة "مقت وكراهية الآلهة" حسب المصريين. أما الكذب فى مصر وكما علمتنا النصوص العديدة، فهو عمل محدد جدًّا بحيث لا يرتفع إلى مستوى فكرنا الأخلاقى الحديث. أما الكذب بالنسبة للكائن الحى، فهو عدم التحدث (ومن المحتمل ألاَّ يتصرف أيضاً)، وذلك طبقاً لما يشعر به داخل قلبه[٦١]. وعندما يتصرف بهذه الطريقة، فإنه يُخلُّ بدورة مَاعِتْ وبذا

يسبب اضطراباً وعدم توازن داخل نفسه وحوله. وإن الكذب فى الواقع هو "رجس ودنس"؛ لأنه يعرقل دورة مَاعِتْ. وأول من يتعذب هو الكذاب. ويعانى فى هذه الحياة نفسها عدم الانسجام جسمانيًّا ونفسيًّا؛ وذلك بسبب الكذب. والنقيض له: الحقيقة التى يقدِّرها المصريون حق التقدير لأنها هى أيضاً فكر محدد تماماً.

أن تقول الحقيقة فأنت عادل، أى تتحدث بما يمليه عليك قلبك[٦٢]؛ وبالتالى حسب مفاهيم ماعت. إن قول الحقيقة يعنى العيش بصورة مطابقة للمبدأ الأساسى لمَاعِتْ: الدورة السليمة (بمعنى الملائمة والصحيحة) والمنسجمة مع الطاقة من خلال الكون، وأيضاً داخل المجموعة البشرية الذى هو جزء منها. وبذا، نتفهم بصورة أفضل للتعبير الذى يتكرر غالباً فى النصوص: "الصوت العادل"[٦٣] ويعنى ذلك ببساطة أن الصوت عادل عندما ينتشر طبقاً للقلب، أى طبقاً لدورة مَاعِتْ. وتتمثل إحدى نتائج الصوت العادل كما يعرضها أحد نصوص علم اللاهوت من منف حيث نستشهد منها ببعض فقرات ذات معنى فيما يتعلق بوظيفة القلب[٦٤]؛ حيث إنه الإبداع الخلقى كنتيجة للخروج للحياة وانتشارها.

سبب آخر لإعاقة دورة مَاعِتْ هو "شراهة" القلب التى يستهجنها[٦٥] المصريون بشدة. ومع ذلك، ففى خلال الجزء الأعظم من تاريخهم، لم تظهر هذه الشراهة كخطيئة بالمعنى الحديث. فشراهة القلب بالنسبة لقدماء المصريين كانت تعنى انحرافاً[٦٦] عن وظيفة من الممكن تعديله بتصحيح مسار القلب. "إن القلب الجشع" مثل التعبير الذى يصوره تماماً بأنه غير قادر

على التبادل وبالتالى عدم القدرة علـى إجـراء دورة مَاعِتْ بصورة متسقة ومتناغمة؛ حيث تهرب منه المحاسـن والخيـر. وفى قصة "إنسان الواحة" (القروى الفصيح) يمكننا قراءة الفقرة التالية: "لا يوجد أمس بالنسبة للإنسان الفارغ والمتعطل وليس له صديق لأنه أصم عن العدالة، ولا يوجد يـوم سـعيد بالنـسبة للإنسان الشره"(٦٧).

هناك طريقة ثالثة تتكون من "يلتهم قلبه" أو أيضاً "يأكل قلبه"(٦٨) وحول هذه الملاحظة خلافاً للطرق الأخـرى الخاصـة بعرقلة الطاقة، لم نجـد تفـسيراً واضـحاً مـن خـلال الأدب المصرى.

طريقة رابعة لعرقلة دورة مَاعِتْ تتمثل فـى اسـتحالة استمالة القلب؛ خاصة بسبب الإنصات الردىء. وبينما خفة وزن القلب تُعتبر ميزة بالنسبة لعقليتنا الحديثة، فإنه يجب ملاحظة أن العكس هو الصحيح تماماً بالنسبة للمتوفى عند قدماء المصريين. وبعيداً عن الإدراك بأن هذه الخفة بطريقتنا المعنوية كانت تعنى قلباً خالياً من الخطايا؛ يرى المصريون هذه الخفة بطريقة مادية ملموسة مثل قلب ينقصه ماعت. فخفة القلب بالنسبة للمـصريين تُعتبر عيباً، لأن قلب الإنسان الخفيف الوزن، لا يحتـوى علـى قدر كاف من مَاعِتْ ولا يُعتبر حياً بصورة كبيرة(٦٩). وقد تعلمنا من أحد النصوص أن عيب خفة القلب يتفق بشكل خاص بثقـل جسمانى معين(٧٠). بينما فى نص آخر يرشدنا إلـى أن الكـائن الممتلئ بمَاعِتْ يتمتع بصحة جسمانية جيدة(٧١). ونتيجة لـذلك، وبعد أن علمنا أن خفة وزن القلب تُعتبر عيبـاً وليـست ميـزة بالنسبة لقدماء المصريين، فلا يمكننا أن نقبل بالأفكار المتعلقـة

"بوزن القلب" التى تُمثل فى وصف مشهد محاكمة الموتى (Psychostasic) (والتى أوضحها أحد علماء المصريات بصفة عامة):

"... وضع القلب فى الكفة اليسرى من الميزان على هيئة إناء صغير. وقد اعتبر قدماء المصريين أن القلب هو العضو المفكر والضمير. وُضعت الريشة فى الكفة الأخرى رمزاً لماعت. ولا يجب أن يكون وزن القلب أثقل من الريشة وقد يكون الوزن الزائد للقلب نتيجة الأعمال السيئة والخطايا ... وعلى اليمين مباشرة يقف تحوت برأس أبى منجل ويمسك بيده أدوات الكتابة الخاصة بالكاتب ويهدّئ من روعه. وخلفه يوجد "عمعمت" وهو الوحش الذى يُطلق عليه اسم "الملتهم"، وهو المكلف بالتهام قلب الميت فى حالة زيادة وزن القلب عن وزن الريشة، وهذا معناه بالنسبة للمتوفى أن يغوص فى العدم"[٧٢].

يوضح هذا المثال بوضوح شديد الطريقة التى كنا نُحْدث بها إسقاطاً لمناهجنا الحديثة؛ وخاصة مبادئنا الأخلاقية التى تمنعنا من الدخول فى روح النصوص المصرية القديمة.

## القسم الخامس

## جميع مجالات الحياة متكاملة فى مصر، لماذا؟

ماعت متواجدة فى كل مكان وتحرك كل من له قلب، وحسب نص اللاهوت من منف، أن كل من يعيش له قلب. وغالباً ما كان يُكتب أن مَاعِتْ هى ابنة الشمس وأمها أيضاً،

وأنها المغذية لها والمغذية أيضاً لجميع الآلهة. وبوصفها أُماً وابنةً لرع فى الوقت نفسه، فهذا رمز أنثوى بأن مصر القديمة اختارتها لكل تمثل مبدأ دورة الطاقة الكونية. وفى الواقع، فإن ما يميز الجسم الأنثوى هو قدرته على خدمة القوة الموجهة للحياة وأيضاً التغذية (حليب الأم). فالمرأة، تماماً كالشمس، تعمل على إمرار الحياة (معنوياً) من خلال الجسم (مادياً وملموساً). تلك هى مَاعِتْ وهى تدور فى الكون تغطى ما كان المصريون يطلقون عليه "الثبات" و"الأفقية" أو "استقامة"، وتُستخدم هذه الألفاظ لتحديد مفهومنا الحديث عن التوازن[٧٣] الذى يحافظ على توافق الكون وانسجامه لأنه من خلال دورة مَاعِتْ، كل شىء ثابت ومستقر فى مكانه.

أن تكون "مستقيماً" أو أن تكون "عادلاً" يعنى فى هذا السياق التصرف فى إطار قانون مَاعِتْ الذى يتكون من: دع الأمور تدور أيضاً ودائماً تدفق الحياة وعدم عرقلة طريق ماعت. أما الاصطلاحان "مستقيم"[٧٤] و"أفقى"؛ فإنهما يشيران بشكل مادى جداً إلى وضع كفَّتَى الميزان فى مشهد محاكمة الموتى. وهذا هو السبب الذى من أجله يمكن قراءة بردية آنى Ani كالتالى:

"كلمات حورس ابن إيزيس: أنا قادم نحوك يا ون نفر Ounnefer، وأنا أقودك نحو أوزيريس آنى. **إن قلبه مستقيم، إنه يخرج من الميزان**، إنه لم ينطق أبداً بكلمة سوء ضد أى إله أو إلهة... **إنه مستقيم وعادل تماماً**[٧٥] (نحن الذين ذكرنا).

وفيما يتعلق بالعالم الصغير للإنسان، فإنه بفضل مَاعِتْ ترتبط جميع القلوب ونتعلم أن الشمس أيضاً لها قلب(٧٦).

وهذا يفسر لماذا كان الكل فى مصر متماسكين ومتشابكين كالبنيان الواحد: اجتماعياً وسياسياً وعلمياً وكونياً، وهو ما لاحظناه كناحية دينية. الكل يُرى تحت زاوية دورة الطاقة الكونية، وبعبارة أخرى: من مبدأ دورة الحياة تحت هذه الزاوية؛ وبالتالى البعد الخاص بالطاقة وغير المادى للكائن البشرى الذى منحته حضارتنا الحديثة قدراً ضئيلاً من الاهتمام. وهذه الدورة الخاصة بالطاقة غير المقطوعة والتى ترعى النظام على المستويين: الكونى والسياسى، وأن فرعون من خلال طقوس القرابين الذى يُقدم لمَاعِت يضع نطاقاً على دائرة دورة الطاقة هذه. وعندئذ نفهم لماذا كانت طقوس القرابين لمَاعِت وبحضور الفرعون كانت هى الطقوس الممتازة. وفى الواقع، فإن كل ما وصفناه "بالديانة المصرية" كان بعيداً جداً عن مفهومنا الحديث المجرد تماماً من الديانة(٧٧).

وكان تأثير دورة مَاعِت الطيبة ودورتها السيئة يتم تجربته من قبَل هؤلاء الذين يعطون الألم للملاحظة الآلية للطاقة والتصحيح الآلى السلوكى(٧٨).

وفى الواقع، فإن قدماء المصريين فى وجود السلوكيات والتصرفات التى نصفها بأنها خطايا، لم يروا فيها سوى انحراف عن الصواب، وعليهم أن يصححوا طريقهم بتفهُّم أفضل وبإنصات أحسن لمَاعِت(٧٩).

قامت الحضارة المصرية على معرفة دورة الطاقة الكونية وعلى البحث عن رفاهية الإنسان المصرى، سواء داخلياً

(الصحة والسعادة والحيوية) أو خارجيًّا (الرخاء المـادى)[٨٠]. وكان هذا الرخاء يُتبع بصورة وثيقة بالـدورة الحـرة للطاقـة الكونية ممثلاً بريشة مَاعِتْ[٨١]. فهـى خفيفـة وبيـضاء مثـل الضوء[٨٢]؛ ولذا فإن مَاعِتْ هى طاقة يجب أن تـدور. وكـان الهدف الرئيسى للشعب المصرى السعادة والحيويـة. وبالنـسبة لفرعون، كان الكل يعبر عن أمانيه لتحقيق وسـائل الوصـول بصورة منسقة ومنظمة: وتفسر لنا كلير لالويت الجملة التاليـة: "هل يمكن أن يعيش بصحة جيدة وفى رخـاء"؛ حيـث كانـت تُختصر إلى ("حياة ــ صحة ــ قوة") تلك هى الأمـانى التـى كانت توضع بعد كل اسم ملكى أو كل عنـصر مـن عناصـر الأشخاص المحيطين به"[٨٣]. ولأننا لم نعرف أن نفضل البحـث عن السعادة الداخلية للإنسان، فإننا لا نعرف الكثير عن الطاقـة البشرية رغم أننا نسلم بأن النباتات مثلاً تستحوذ علـى الطاقـة الشمسية وتحولها. ولم نهتم إطلاقاً مثل قدماء المصريين بالطاقة الكونية التى هى أساس الحياة والخلق بالنسبة لهم. لقـد قـدمت مصر نموذجاً فلسفياً يُتبع، سواء فى الحيـاة الفرديـة للتطـور الشخصى أو الحياة الجماعية لتطبيق قـوانين ابتكـار وخلـق الوفرة.

## القسم السادس

## ماعت ليست العدالة

رغم أن مَاعِتْ تشكل مع القلب الركيزة الأساسية، فإنها ليست العدالة. ومع ذلك، فهى مرتبطـة بهـا ارتباطـاً وثيقـاً. ولا نتعجب من أن أجيالاً من علماء الآثار المصرية ترجموهـا

بالتعبير "الحقيقة ـ العدالة" دون أن يزعجهم عدم وضوح تلك الترجمة التقريبية؛ نظراً للصعوبة التى واجهوها فى تحديد معالم هذا المفهوم المختص بالحضارة المصرية. وقد كان فعل مَاعِتْ يعنى أولاً: عمل الطاقة. وقول مَاعِتْ معناه أيضاً "القول بالطاقة"، بينما الذى يمارس العدالة فهو عادل ومتوازن وأفقى ومستقيم وثابت ويعمل على تدوير مَاعِتْ باستخدام القلب بطريقة متناسقة. وذُكر فى النص المنقوش على الناووس (التابوت الحجرى) بشكل واضح أن مَاعِتْ هى الحياة:

"أتوم Atoum[٨٤] يقول: تفنوت Tefnout، إن من تكون الحياة هى ابنتى؛ فهى مع شقيقها شو Shou الذى يُسمى أيضاً الحياة: فمَاعِتْ اسمها متساوٍ معها[٨٥].

## القسم السابع

## ما العدالة المصرية؟

بيضاء وخفيفة، لا تُنسب العدالة إلى مَاعِت بمفردها. تتكون العدالة من قيام مَاعِتْ بدورة لإعادة التوازن المفقود، أو لمنع استقرار عدم التوازن.

ويجب أن يتغير اسم مشهد محاكمة الموتى إلى "مشهد العدالة"؛ لأنه يمثل مبدأ العدالة فى مصر القديمة. فالعدالة عبارة عن عملية حيوية الغرض منها إقامة أو إعادة إقامة دورة متناسقة من الطاقة الكونية عن طريق التوازن بين المادة وبين ما هو غير مادى (معنوى، مجرد، روحى)، بحيث يكون الكلام

أحد مظاهر التعبير عنها (خارجية). تتصرف هذه العدالة نحـــو الصعيد الكونى، وكذلك على المستوى البشرى (اتصال، مـــرور الطاقة من خلال الكون). يتمثل إيجاد العدالة فى جعل كلٍّ مـــن كفَّتَى الميزان "أفقية"، "مستقيمة" أو أيضاً "ثابتة ومستقرة" ولكـــى يحدث ذلك، لا بد من الإنصات إلى مَاعـــتْ[٨٦]، ومـــا تقولـــه مَاعِتْ، وما تفعله مَاعِتْ. ويمكننا أن نقرأ النص الموجود مـــع المشهد المذكور (محاكمة الموتى) فى بردية آنى Ani:

"إن مَنْ فى القبر ينادى ويقول: أتوسل إليك يا صـــاحب ميـــزان العدالـــة والإنـــصاف[٨٧]، أن تجعـــل الميـــزان ثابتـــاً ومستقرًا"[٨٨] وهذا الثبات والاستقرار هو أيضاً ما نتحدث عنـــه بالنسبة للشمس فى السماء، كما أن الثبات والاستقرار هو أحـــد الأمنيات، التى نوجهها إلى فرعون[٨٩].

# خاتمة

من خلال دراسة مفهوم ماعت فى الحضارة المصرية القديمة، استطعنا أن نستخلص فكرة العدالة التى تختلف بشكل كبير عن تلك التى تعودنا على الإشارة إليها فى عالمنا التقليدى. وفى الواقع، إذا كانت العدالة فى العالم القديم عبارة عن تقسيم أو توزيع الممتلكات المادية أو المبالغ النقدية والقِصَاص من الأشخاص بتحديد حرياتهم، فإن العدالة المصرية تهتم بأشياء أخرى. ذلك هو مفهوم العدالة الأصيل الذى يهدف إلى تطوير الحياة ونموها والعمل على زيادة الوفرة والسعادة. وفى هذا العالم المصرى القديم، كان الإنسان، كما يعيش، جزءًا لا يتجزأ من الكون، وكأية مادة حية، لديه القدرة على اجتذاب الطاقة الشمسية بواسطة قلبه وتحويلها، ونشرها وتبادلها بصفة خاصة عن طريق الكلام (le logos): (العقل الأول الذى يفصل بين الخالق والكون).

لاحظ قدماء المصريين أن الدورة المتناسقة لهذه الطاقة المتحولة إلى كلمات تؤدى على عدة مستويات نحو النماء

بالنسبة للفرد وللمجموع. وكانت هذه الـــدورة تجلـــب الـــسعادة والازدهار الجسمانى (أى الصحة) والمادى. وعلى النقيض، فإن أية إعاقة لدورة الطاقة هذه تجلب زوال الـــسعادة والازدهـــار، وتؤدى إلى الخراب والبؤس والشقاء والمرض وينتهى بالموت. إن المكانة الرئيسية لمفهوم مَاعِت فـــى الحـــضارة المـــصرية القديمة، تثبت أن الكهنة فى مصر القديمة كـــانوا علـــى درايـــة متعمقة بفضائل الطاقة الشمسية وبمنوال الحياة وبالموت.

# الحواشى

## تمهيد

(١) بينما كان يوجد فى بابل قانون حمورابى حيث تلقاه شماش من إلـــه الــشمس. (راجع .Joseph SARRAF, op. cit., p. 31). أما فيما يتعلق بروما القديمة، فإن القانون استُنبط أولاً من الممارسة العملية، ولم يُكتب إلا مؤخراً فى التــاريخ الرومانى وعُرف باسم القانون الرومانى. المرجع فى هذا: پييــر جريمـــال، (Pierre GRIMAL, op. cit., p. 107 et p. 155.)

(٢) راجع كلير لالويت، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مـــصر القديمـــة. (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome II: Mythes, contes et poésies, Paris, Gallimard/Unesco, 1987, .p. 84.) وبمناسبة أول معاهدة دولية، فقد صدرت المعاهدة المصرية — الحيثية بين رمسيس الثانى وخاتوسيلى الثالث فى عام ١٢٧٨ ق.م.

(٣) چوزيف صرّاف. مقدمة. (Joseph SARRAF, op. cit., introduction.)

(٤) يتضح من المعرفة الحالية من علم المصريات أن وزن القلوب أصبح فردياً حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م. وأنه قبل ذلك لم يكن يخص إلا الملك الذى يعلن أنه عادل ويقود شعبه معه بالكامل إلى العالم الآخر، وبذا يستطيع الاستمرار فــى حكمه لهم.

(٥) بالنسبة لأى مسافر يصل إلى مصر حالياً بالطائرة، يجد أنه من الــسهل جــداً عليه أن يفهم لماذا حكم هيرودوت بأن مصر هبة النيل. ففــى الواقــع نجــد منظراً بديعاً من خضرة على طول جانبَى النيل، وحول هذه المزروعات التى تحد مجرى الماء، لا يجــد ســوى الــصحراء. (HERODOTE, L'Enquête,

Livres I à IV, édition d'Andrée BARQUET, Paris, Gallimard, Folio classique, 1964, p. 160.)

# الفصل الأول

## العدالة المصرية من خلال علم المصريات وتاريخ الأديان

(١) فطبقاً للمؤلفات، نجد أن مَاعِتْ ليست مكتوبة بشكل مضبوط وبطريقة ثابتة بل نجد: مَاعِتْ، مات، مائيت ... إلخ.

(٢) حسب المثال الذى ورد فى كتاب: جوزيف صرّاف عن مفهوم القانون عند قدماء المصريين، (Joseph SARRAF, La notion du droit d'après les Anciens Egyptiens,Città del Vaticano, Libreria editrice vaticana, 1984, Collana storia e attualità, no. 10, p. 35)؛ يان أسمن، مَاعِتْ، مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعيـة. مقـالات ودروس، (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, Conférences essais et leçons du Collège de France, Paris, Julliard, 1989, p. 104)؛ ألكسندر موريه، النيـل والحـضارة المـصرية، (Alexandre MORET, Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, La Renaissance du livre, 1926, p. 440.)

(٣) أنظر كمثال، كتاب "فكر ما قبل عصر الفلاسفة فى مـصر" لجـان يويـوت مستخرج من دائرة معارف كبار الكتاب وتاريخ الفلسفة، (Jean YOYOTTE, "La pensée préphilosophique en Egypte", extr. Encyclopédie de la Pléiade, histoire de la philosophie, I, Paris 19.., p. 11.)

(٤) المصدر نفسه.

(٥) چان كلود جويو، "مَاعِتْ وفرعون أو مصير مصر القديمـة"، (Jean-Claude GOYON, Maat et Pharaon ou de destin de l'Egypte antique, Lyon, Editions ACV, 1998, p. 88.)

(٦) ألكسندر موريه، "مذهب مَاعِتْ"، مجلة علم المـصريات، الجـزء الرابـع ـ المعهد الفرنـسى بالقـاهرة ١٩٤٠. ( Alexandre MORET, "La doctrine de Maat", Revue d'égyptologie, tome 4, Le Caire, 1940, Institut français du Caire.)

(٧) إميلى تيتر: "نقش يمثل مَاعِتْ : الشعائر والأمور الشرعية فى مصر القديمة"، (Emily TEETER, The presentation of Maat, Ritual and Legitimacy in Ancient Egypt, Chicago, The University of Chicago, 1997.).

(٨) إميلى تيتر: "مَاعِتْ : الشعائر والأمور الشرعية فى مصر القديمة"، (Emily TEETER, The Presentation of Maat, Ritual and Legitimacy in Ancient Egypt, op. cit., p. 14-15.).

(٩) رسم أُخذ من مقالة لألكسندر موريه بعنوان :"شعائر العبادة المقدسة فى مصر"، (Alexandre MORET, "Le rituel du culte divin journalier en Egypte", op. cit., p. 45.).

(١٠) ومن المصدر نفسه، فيما يلى ثلاثة نقوش أخرى رمزية لمَاعِتْ :

 الريشة البيضاء،  الذراع أو المقياس،  الإلهة.

(١١) چان كلود چويو: "ماعت وفرعون"، أو قدر مصر القديمة. (Jean-Claude GOYON, Maat et Pharaon ou de destin de l'Egypte antique, Lyon, Editions ACV, 1998, p. 88.).

تم ذكر هذا المرجع بطريقة خاطئة فى المتن الأصلى "الفرنسى"، وتصحيحه: چان كلود چويو، "رع، ماعت وفرعون"، ليون١٩٩٨، ص ٨٨ (المراجع) .

(١٢) ميريام ليشتهايم (Myriam LICHTHEIM, Maat in Egyptian Autobiographies and Related Studies, Fribourg, Universitätsverlag Freiburg Schweiz, Vandenthoeck and Ruprecht Göttingen, 1992).

(١٣) ولكن تقريباً ليس رجال القانون.

(١٤) هنرى فرانكفورت: "تفسير وشرح الديانة المصرية القديمة"، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, an Interpretation, New York, Columbia University Press, 1948, passim.)

(١٥) يان أسمن، (Jan ASSMANN, op. cit., p. 18) هنرى فرانكفورت: ديانة مصر القديمة، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, op. cit., p. 67, p. 117-118.).

(١٦) يان أسمن، (Jan ASSMANN, op. cit., p. 144, note 11): يبدو أن أول من حدد هوية مَاعِتْ على المستوى الكوني هو بليكر، أحد مؤرخي الأديان والكسندر موريه الذي تأثر بقوة بنظريات " فريزر"؛ فيليب درشان، بردية سولت ٨٢٨ (ب م ١٠٠٥١) طقوس للمحافظة على الحياة في مصر، بروكسل، الأكاديمية الملكية ببلچيكا، (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051) rituel pour la conservation de la vie en Egypte, Bruxelles, Académie royale de Belgique, Mémoire no. 1784, Classe des lettres, tome LVIII, fasc. I a, 1965, p. 13.) .

(١٧) Claas Jouco BLEEKER, De Beteekenis van de Egyptische Godin Ma-a-t, Leiden, 1929.

(١٨) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, Enactments of Religious Renewall, 1967, E.J. Brill, Leiden, Netherlands.

(١٩) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 1.

(٢٠) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 4.

(٢١) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 16.

(٢٢) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 12-13.

(٢٣) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 7-8.

(٢٤) كانت الشعائر عبارة عن أعمال محددة من الحياة الواقعية، أي أعمال ملموسة يقوم بها المصريون على أنها معتقداتهم "الدينية".

(٢٥) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 6-7.

(٢٦) ذكر بليكر في كتابه: (Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 7.) الذي تُرجم إلى الإنجليزية: "إن مَاعِتْ هي في الوقت نفسه مفهوم عام وإلهة. كمفهوم عام: تمثل الحقيقة والعدالة والنظام في الحياة العملية. وهناك ثلاث قيم تثبت أنها قائمة على النظام الكوني".

(٢٧) Claas Jouco BLEEKER, De Beteekenis van de Egyptische Godin Ma-a-t, Leiden, 1929.

(٢٨) إيرين شيرونجروماك: "ملاحظات حول الإلهة مَاعِتْ"، مصر الفرعونية، التوراة والمسيحية، (Irene SHIRUN-GRUMACH, "Remarks on the

Goddess MAAT", Pharaonic Egypt, the Bible and Chritianity, Jerusalem, ed. S. Israelit-Groll, the Magnes Press, The Hebrew University, 1985, 173-201, cf. p. 173, notamment).

(٢٩) بليكر: الأعيـــاد المـــصرية (Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, enactments of religious renewall, op. cit., p. 5). ومع ذلك، فقـــد استـــشهد مورينز بأنه لا بد من الإشارة إلى أن اللغة المصرية لا تحتوى على كلمـــات للتعبير عن مفاهيم مثل الديانة والتقوى والإيمان. وهو أول من أشار إلى ذلك. (MORENZ, Ägyptische Religion, 1960) أما الوصف الذى قدمه عن الديانة فى مصر القديمة، فقد ركز على أنها الإيمان الفردى، وبذا، فقد أعطى صورة خاطئة وغير موضوعية لجوانب كثيرة من الدراسة عن العبادة والشعائر.

(٣٠) فيليب درشان: بردية سولت ٨٢٥ (BM ١٠٠٥١)، طقوس المحافظة علـــى الحياة فى مصر. (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051) rituel pour la conservation de la vie en Egypte, Bruxelles, Académie royale de Belgique, Mémoire no. 1784, Classe des lettres, tome LVIII, fasc. I a, 1965, p. 13).

(٣١) Erik HORNUNG, L'esprit du temps des pharaons, Paris, Hachette, collection Pluriel, 1996, p. 137.

(٣٢) Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, op. cit., p. 6.

(٣٣) المرجع نفسه.

(٣٤) أى خلق الأساطير، هنرى فرانكفورت وويلـــسون وچاكوبـــسن وإيـــروين: المغـــامرة الذهنيـــة، مغـــامرة الإنـــسان القـــديم، (H. FRANKFORT, A. FRANKFORT, WILSON, JACOBSEN AND IRWIN, The Intellectual Adventure of Ancient Man, Chicago, University of Chicago Press. 1946, p. 10).

(٣٥) هنرى فرانكفورت، الديانة فى مـــصر القديمـــة، تفـــسير وشـــرح، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, an Interpretation, New York, Columbia University Press, 1948).

(٣٦) المرجع السابق، ص ٦٣.

(٣٧) المرجع السابق، ص ٩٣، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤.

(٣٨) هنرى فرانكفورت، ديانة مصر القديمة، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, an interpretation, op. cit., p. 19).

(٣٩) Henri FRANKFORT, op. cit., p. 90 et p. 91.

(٤٠) Henri FRANKFORT, op. cit., p. 55.

(٤١) هنرى فرانكفورت (Henri FRANKFORT, op. cit., p. 51)، كـان النظـام الاجتماعى جزءًا من النظام الكونى. انظر أيضاً: سـفينة الملـوك والآلهـة، (Henri FRANKFORT, Kingship and the Gods, Chicago, 1948).

(٤٢) هنرى فرانكفورت، الديانة المـصرية القديمـة، شـرح وتفـسير، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, an Interpretation, op. cit., p. 55.) الترجمة الإنجليزية: "ولكن تنقصنا الكلمات لإدراك المعانى، كما يجـب أن نترجم أحياناً كلمة "نظام" "بالحقيقة"، وأحياناً أخرى "بالعدالة" وأن النقـيض لمَاعِتْ يتطلب تنوعاً فى الأداء، وفى هذه الحالة، فإننا نؤكد علـى اسـتحالة ترجمة الأفكار المصرية إلى الإنجليزية بلغة حديثة".

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٤٧) نفس المصدر، ص ١١٧.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١١٧ ص ١١٨.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ١١٨ – ص ١١٩.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٧٢، نتائج الكرم على الجانب العملى.

(٥٢) يان أسمن، ماعت، مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية، محاضـرات ودروس (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, Conférences essais et leçons du Collège de France, Paris, Julliard, 1989).

(٥٣) Jan ASSMANN, op. cit., p. 12.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٥٨) چان أسمن، ملخص، . (Jan ASSMANN, op. cit., cf. son résumé p. 54-55

(٥٩) Jan ASSMANN, op. cit., p 36).

(٦٠) انظر "نبوءة نيفرتى" "la prophétie de Neferty" وهى ترجمة كلير لالويت لنصوص مقدسة ونصوص دنيوية عن مصر القديمة. Claire LALOUETTE, ( Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, Des Pharaons et des Hommes, Paris, Gallimard/Unesco, 1984, p. 71) "قرص الشمس محتجب ولم يعد يسطع حتى يتمكن الناس من الرؤية ولا توجد حياة إذا غطته السحب، وبدونه سيُصاب الناس جميعاً بالصمم".

(٦١) ألفريد توماتيس، نحو التنصُّت البشرى، (Alfred TOMATIS, Vers l'écoute humaine, Paris, E.S.F., 1979, tome I, p. 34) .

(٦٢) Jan ASSMANN, Maat, op. cit., p. 107.

(٦٣) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٦٤) المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٦٥) علم نشأة الكون المصرى قبل الدولة الحديثة، (S. BICKEL, La cosmogonie égyptienne avant le Nouvel Empire, Fribourg, 1999, p. 171). .

(٦٦) برناديت مونو، مقبرة بيتوزيريس (٢) مَاعِت، تحوت والحق. نشرة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، (Bernadette MENU, "Le tombeau de Pétosiris (2) Maat, Thot et le droit", Paris, BIFAO (Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale), tome 95 (1995), p. 281-295). .

(٦٧) المصدر السابق، ص ٢٨٢، "La norme est l'affaire de Maat; son application celle de Thot." .

# الفصل الثانى
## الرمز كوسيلة للدخول إلى عالم ما قبل المنطق

(١) وفقاً لرأى بيير جريمال Grimal فى مقدمة ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية عن مصر القديمة ــ فراعنة وبشر" (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, Des Pharaons et des Hommes, Paris, Gallimard/Unesco, 1984, p. 8 et p. 16).

(٢) عن "العصر المحورى"، ("période axiale, cf. note no. 10.).

(٣) Jean YOYOTTE, "La pensée préphilosophique en Egypte", op. cit, p.1.

(٤) چان يويوت "الفكر المصرى فى عصر ما قبل الفلسفة" (Jean YOYOTTE,"La pensée préphilosophique en Egypte", op. cit., p. 1.) وأيضاً الرأى الذى شارك فيه كل المؤلفين سواءً أكانوا علماء مصريات أم مؤرخى أديان، مثل: (H. FRANKFORT, A. FRANKFORT, WILSON, JACOBSEN AND IRWIN, The Intellectual Adventure of Ancient Man, University of Chicago Press p. 3) 1946. وكذلك كلاس بليكر: "الأعياد المصرية والتشريع وسن القوانين فى التجديد الدينى" (Claas Jouco BLEEKER, Egyptians Festivals, Enactments of Religious Renewall, 1967, op. cit., p. 14)، وبياتريس جوف "الرموز فى مصر القديمة فى العصر المتأخر، الأسرة الحادية والعشرين". (Beatrice L. GOFF, Symbols of Ancient Egypt in the Late Period, the Twenty-first Dynasty, Yale University, Mouton publishers, 1979, p. 19.)

(٥) چان يويوت: "الفكر المصرى فى عصر ما قبل الفلسفة"، (Jean YOYOTTE, "La pensée préphilosophique en Egypte", op. cit., p. 2.).

(٦) إريك هورنونج: "روح الزمن لدى الفراعنة"، (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des Pharaons, Paris, Hachette,1996, p. 25).

(٧) إريك هورنونج: المصدر نفسه، ص ١٦ – ١٧.

(٨) بياتريس جوف "رموز مصر القديمة فى العصر المتأخر، الأسرة الواحدة والعشرين"، (Beatrice L. GOFF, Symbols of ancient Egypt in the late period, the twenty-first dynasty, op. cit., p. 158).

(٩) ألكسندر موريه "النيل والحضارة المصرية" ، (Alexandre MORET, Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, La Renaissance du livre, 1926, p. 422) : "تعتبر الرسومات نوعاً من الابتكار الذى يصل بالفن إلى مستوى السحر. فالنحات (المثال) يُطلق عليه الشخص الذى يُحيى (ساخ Sakh) لأنه يعطى نمطاً فى الحياة، أو هو الشخص الذى يبتكر طفلاً إلى الوجود (mes).

(١٠) ألكسندر موريه: "النيل والحضارة المصرية", (Alexandre MORET, Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, La Renaissance du livre, 1926, p. 91) ؛ سيجفريد مورينز، "الديانة المصرية"، (Siegfried MORENZ, Egyptian Religion, London, Methuen and Co litd, 1976, p. 153-154). إريك هورنونج (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des Pharaons, Hachette, 1996, p. 25).

(١١) إريك إيفرسن: "الأسطورة فى مصر وطلاسمها فى التقاليد الأوروبية"، (Erik IVERSEN, The Myth of Egypt and its Hieroglyphs in European Tradition, Copenhagen, GEC Gad, 1961, p. II).

(١٢) Erik IVERSEN, op. cit., p. 11.

(١٣) بياتريس جوف: "الرموز فى مصر القديمة" (Beatrice L. GOFF, Symbols of Ancient Egypt, op. cit., p. 158.).

(١٤) فى لغة الحاسب الآلى ما هى إلا مجموعة ملفات مضغوطة يجب معرفة تخفيف الضغط أو بسطها (فردها).

(١٥) الصمت هو أحد فضائل المجتمع المصرى القديم؛ يان أسمن: "مَاعِتْ .. مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية". محاضرات ودروس (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, Conférences essais et leçons du Collège de France, Paris, Julliard, 1989, p. 44) ، "الحكمة لدى المصرى القديم هى الصمت". هنرى فرانكفورت: "الديانة المصرية القديمة"، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, op. cit., p. 66).

(١٦) سيجفريد مورينز: "الديانة المصرية"، (Siegfried MORENZ, Egyptian Religion, London, Methuen and Co ltd, 1976, p. 175)؛ فيليب درشان: "طقوس دينية للمحافظة على الحياة فى مصر"، (Philippe DERCHAIN,

Rituel pour la conservation de la vie en Egypte, Bruxelles, Académie royale de Belgique, Mémoire n° 1784, Classe des lettres, tome LVIII, fasc. I a, 1965. p. 4, note 3)؛ ألكسندر بيانكوف : "خلق قرص الشمس"، (Alexandre PIANKOFF, la création du disque solaire, IFAO, bibli. 2 tomes 19, p. 7).

(١٧) يان أسمن: مَاعِتْ: مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية، Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, op. cit., p. 17).

(١٨) سيجفريد مورينز:"الديانة المصرية"، حول التداخل بين العلم والدين وحول الروح العلمية للمصريين، وقد عُرضت بلغة الخرافات والأساطير، (Siegfried MORENZ, Egyptian Religion, London, Methuen and Co litd, 1976, p. 175 sur l'interpénétration science/religion; p. 175 sur l'esprit scientifique des Egyptiens exposé dans un langage mythique).

(١٩) فيليب درشان: "بردية سولت، ٨٢٥. طقوس وشعائر من أجل المحافظة على الحياة فى مصر القديمة" ( Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051) rituel pour la conservation de la vie en Egypte, Bruxelles, Académie royale de Belgique, Mémoire no. 1784, Classe des lettres, tome LVIII, fasc. I a, 1965).

(٢٠) فيليب درشان: بردية سولت ٨٢٥ (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051); op. cit., p. 4, note 3) ؛ إلكسندر بيانكوف. خلق قرص الشمس، (Alexandre PIANKOFF, La création du disque solaire, IFAO, bibli. 2, tome 19, p. 1).

(٢١) Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051); op. cit., p. 4, note 3: Alexandre PIANKOFF, la création du disque solaire, IFAO, bibli. 2, tome 19, p. 7.

(٢٢) فيليب درشان، بردية سولت ٨٢٥، (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051); op. cit., p. 4, cf. aussi p. 6).

(٢٣) بعد أن شرح، مثل زملائه، أن الطقوس المصرية كانت عبارة عن وسائل لتبادل الطاقة بين الآلهة والفراعنة أو الملك الذين يصونون دورة الحياة .

(٢٤) فيليپ درشان: بردية سولت ٨٢٥، حسب المذكرة ٣٧ لتفسير مماثل لمعبد مصرى: سونيرون، بوزيرنر، يويوت، (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051); op. cit., p. 4, cf. aussi p. 14 qu'il cite, note 37: pour une interprétation analogue du temple égyptien, cf. SAUNERON, POSERNER, YOYOTTE, dict. Civ. eg., 1961, 282-283).

(٢٥) چان كلود جويون: "مَاعِت وفرعون أو قدر مصر القديمة"، (Jean-Claude GOYON, Maat et Pharaon ou de destin de l'Egypte antique, Lyon, Editions ACV, 1998, p. 89).

(٢٦) فيليپ درشان ٨٢٥، (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825 (BM 10051); op. cit., p. 9.)

(٢٧) پول هوفيلين Huvelin: "الجداول السحرية والقانون الرومانى"؛ حيث أوضح الخلاف بين الديانات الحديثة والديانات القديمة التى تميزت بأنها عملية أكثر من اللازم، (Paul HUVELIN, Les tablettes magiques et le droit romain, Macon, Protat Frères, 1901, p. 13. Sur la différence entre notre religiosité moderne et celle beaucoup plus pratique des anciens, cf. T. W. POTTER, Roman Britain, London, Bristish Museum Press, 1997, p. 74-75).

(٢٨) فيليپ درشان: بردية سولت ٨٢٥ (المذكورة أعلاه)، (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825; op. cit., p. 17).

(٢٩) چان كلود جويون: "مَاعِت وفرعون أو قدر مصر القديمة"، (Jean-Claude GOYON, Maat et Pharaon ou de destin de l'Egypte antique, Lyon, Editions ACV, 1998, p. 92).

(٣٠) حيث تؤرخ الأطلال الباقية كل شيء عن عصر البطالسة حسب ما ذكر درشان.

(٣١) فيليپ درشان: "بردية سولت" (Philippe DERCHAIN, Le papyrus Salt 825; op. cit., p. 19).

(٣٢) كارل جوستاف يانك: "الطاقة النفسية الفعالة". (Karl Gustav JUNG, L'énergétique psychique, Genève, Georg éditeur S.A., 1987.)

(٣٣) من الضرورى هنا أن نقارن ذلك مع الطريقة الصينية الخاصة بالمعالجة بوخز الإبر، طالما أن الهدف هو تحسين دورة الطاقة فى الجسم البشرى.

فالعلاج بالإبر يستبدل أيضاً الكائن البشرى فى بعده الكونى. دكتور تران تيين شانغ: "المعالجة بوخز الإبر وفلسفة تاو (الفلسفة الدينية الصينية المبنية علـى تعـاليم تـاو)، (Docteur TRAN TIEN CHANH, L'acupuncture et le Tao, Meudon, Editions Partage, 1988, p. 94.).

## الفصل الثالث

## الاقتراب الأكثر واقعية من المشهد يتيح إمكانية استخدام العدالة

(١) كلير لالوليت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة – فراعنة ورجـال"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, Des Pharaons et des Hommes, op. cit., p.270):

"كتاب الموتى هو أعظم كتاب جنازى شائع لكل المصريين بدءاً مـن الدولـة الحديثة (حوالى عام ١٥٨٠ ق.م.). تُستخدم هذه النماذج والصيغ للارتقاء إلى الحياة الأخرى (عنوان مصرى)، ويجمع كذلك تجسيدات وصـيغاً وأسـاليب للبقاء فى قيد الحياة. فهى بمثابة الرد الأخير الذى لا غنى عنه لكل من تهفـو نفسه للتطلع إلى الحياة الأخرى".

(٢) جى راشيه:" كتاب الموتى عند قدماء المصريين"، (Guy RACHET, Le livre des morts des anciens Egyptiens, op. cit., p. 44).

(٣) چان يويوت: "محاكمة الموتى عند قدماء المصريين"، (Jean YOYOTTE, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", Paris, Sources Orientales, IV, 1961, p. 17).

(٤) چان يويوت: "محاكمة الموتى عند قدماء المصريين"، (Jean YOYOTTE, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", op. cit., p. 44 et ss. ).

(٥) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٦) هنرى فرانكفورت: "الديانة عند قدماء المـصريين"، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, op. cit., pp 112, 116).

(٧) إيتيين دريوتون: "محاكمـة الأرواح عنـد قـدماء المـصريين"، (Etienne DRIOTON, "Le jugement des âmes dans l'Egypte ancienne", Revue du Caire, 1949, p. 1-20, p. 19).

(٨) إيتيين دريوتون: "محاكمـــة الأرواح عنـــد قـــدماء المـــصريين"، (Etienne DRIOTON, "Le jugement des âmes dans l'Egypte ancienne", op. cit., p. 19, p. 9).

(٩) چان يويوت:"محاكمة الموتى عند قدماء المصريين"، (YOYOTTE Jean, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", op. cit., p. 17-71, p 44-45).

(١٠) چان يويوت: محاكمة الموتى فى مصر القديمـــة، (Jean YOYOTTE, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", op. cit., p. 45.).

(١١) إريك هورنونج عن الكتابة المصرية، (ERIK HORNUNG, op. cit., p. 18.) حيث كانت الكتابة فى روما القديمة مقدسة أيضاً، (Paul HUVELIN, op. cit., p. 11).

(١٢) إميل أميلينو: "الأخلاق المصرية منذ ١٥ قرناً ق.م." دراسة مـــن برديـــات بولاق رقم ٤، (Emile AMELINEAU, La morale égyptienne quinze siècles avant notre ère, Etude sur le papyrus de Boulaq n° 4, Paris, Editions Ernest Leroux, 1892, p. XVIII) ؛ حيث تشكك فى قيمة المعرفة التى أخذها الإغريق فى مصر، فقد ذكر كليمنت السكندرى: "لا يكشف المصريون أســـرارهم لأى شخص ولا يعطون معلوماتهم عن الأشياء المقدسة إلى غير رجـــال الـــدين، وإنما فقط للذين يصلون إلى العرش أو إلى الكهنة المميزين فقط بالعلم والعلوم والنسب والأصل".

(١٣) كان ذلك الوضع ينطبق أيضاً على النحاتين. فقد ذكر ألكسندر موريـــه فـــى كتابـــه "النيـــل والحـــضارة المـــصرية"، (Alexandre MORET, Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, La Renaissance du livre, 1926, p. 422 et aussi 498 et ss) : أنه كان لا بد من الانتظار لقيام ثورة شعب لكشف أســـرار عبادة أوزيريس وأن تتمكن العامة من الشعب من حضور الطقوس الخاصـــة بالمومياوات، ولم تكن المعلومات معروفة إلا لعدد قليل جـــداً مـــن الـــشعب ولأشخاص معينين وليس لكل الرهبان.

(١٤) كما ذكر إميل أميلينو (Emile AMELINEAU) بكثير من الوضـــوح ونفـــاذ البصيرة والواقعية، فإن بعض النصوص مثل كتـــاب المـــوتى عنـــد قـــدماء المصريين الذى غير اسمه بصورة فكاهية إلى "كتاب الترويـــع والتخويـــف" والتى تظهر بوضوح ما هى اهتمامات الرهبان فى ذلك العصر فى مواجهـــة "زبائنهم".

(١٥) يان أسمن: " مَاعِتْ، مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية"، محاضرات وبحث ودروس، (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, Conférences essais et leçons du Collège de France, Paris, Julliard, 1989, p. 28).

(١٦) چان يويوت: "محاكمة الموتى عند قدماء المصريين" (Jean YOYOTTE, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", op. cit., 1961, p 12).

(١٧) إريك هورنونج : "روح الزمن عند الفراعنة"، (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des pharaons, op. cit., p. 9).

(١٨) المرجع السابق، ص ١٥.

(١٩) المرجع السابق، ص ١٦ .

(٢٠) المرجع السابق، ص ١٨.

(٢١) المرجع السابق، ص ٣١.

(٢٢) المرجع السابق، ص ١٣٥. ورغم ذلك لا نستطيع إلا أن نوافق على تحليله للإشارات الهيروغليفية المستخدمة للكتابة عن مَاعِتْ والتى تمثل قاعدة منحوتة بحد مائل وضع عليها مثلاً "عرش الخلود" والذى يقلل من شأن مَاعِتْ فى أنها تشكل أساس توازن العالم الذى خُلق والقاعدة التى ترتكز عليها الحياة الكونية والاجتماعية (إحدى الإشارات التى تمثل مَاعِتْ ).

(٢٣) ألكسندر موريه: "النيل والحضارة المصرية" (Alexandre MORET, Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, La Renaissance du livre, 1926, p. 299).

(٢٤) ألكسندر موريه: "مذهب مَاعِتْ"، مجلة المصريات، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية – القاهرة ١٩٤٠، ص ١ – ١٤.

(٢٥) ألكسندر موريه: "محاكمة الموتى فى مصر وخارج مصر" (Alexandre MORET, "Le jugement des morts, en Egypte et hors d'Egypte", Paris, Annales du Musée GUIMET, tome XXXII, p. 255-287, p. 257).

(٢٦) سيجفريد مورينز : "الديانة المصرية"، (Siegfried MORENZ, Egyptian Religion, London, Methuen and Co ltd, 1976).

(٢٧) مترجم عن الإنجليزية: قياس المحاكمة على الإنسان "measure of judgement upon men".

(٢٨) سيجفريد موريننز، الديانة المصرية، (Siegfried MORENZ, Egyptian Religion, London, Methuen and Co ltd, 1976, p. 131).

(٢٩) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٣٠) المرجع السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧، ومترجم عن الإنجليزية: "توضح الرسومات المصاحبة للنص (والتى تضم تفاصيل متنوعة) أن قلب الإنسان المتوفى يُعتبر مركز العقل والإرادة وهو الذى يعطى الحياة لبنية الجسم، حيث يتم وزنه مقابل رمز مَاعِتْ (والذى يُمثل عادة بريشة) ويُستخدم كمعيار أخلاقى. أنوبيس (إله الموت) هو المسيطر على الميزان والمشرف على دقة الوزن. يقوم تحوت بتسجيل التصديق على الحكم ويعلنه فإذا كان الحكم فى غير صالح المتوفى، فإن الآثم يصير ضحية للوحش المهجن حيث يفترسه ...".

(٣١) إيتيين دريوتون: "محاكمة الأرواح فى مصر القديمة"، مجلة القاهرة، ١٩٤٩، ص١ - ٢.

(٣٢) هنرى فرانكفورت.(Henri FRANKFORT, op. cit., qui écrit, p. 118) يُعتبر الـ ٤٢ قاضياً بمثابة عقبة أخرى أُضيفت فى مرحلة لاحقة:

ينتمى الـ ٤٢ قاضياً المذكورين فى البردية الجنازية الأخيرة إلى نظام فكرى مختلف تمامًا. فهم يشكلون عقبة أخرى يمكن تجاوزها. مثل هذه المخاطر والعقبات التى ناقشناها، فإنها نشأت بدافع الرعب المصاحب لهذه الحالة، وبسبب ضمير مضطرب ومرتقب شراً.

(٣٣) چان يويوت: "محاكمة الموتى فى مصر القديمة"، (Jean YOYOTTE, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", Paris, Sources Orientales, IV, 1961, p. 46).

(٣٤) يان أسمن: "مَاعِتْ، مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية"، أبحاث ودروس، (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, Conférences essais et leçons du Collège de France, Paris, Julliard, 1989).

(٣٥) يان أسمن: " مَاعِتْ، مصر الفرعونيّة وفكرة العدالة الاجتماعية"، أبحاث ودروس، (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, op. cit., p. 72).

(٣٦) تُعتبر الروح (الـــ Ba) بصفة عامة مثل روح المتوفى التى أصبحت حـــرة وتتجول فى الأجواء وعلى الأرض. كانت تُمثل أولاً على هيئة طائر أســـود، وأخيراً على هيئة طائر برأس آدمي. وتـــستطيع هـــذه الـــروح أن تتحـــرك وتتصرف على مسافة من الجسد لتحركه؛ حيث إنها تمتلك صفاته المميـــزة. وحول هذا الموضوع كتب جى راشـــيه ـــ كتـــاب المـــوتى عنـــد قـــدماء المصريين، (Guy RACHET, Le livre des morts des anciens Egyptiens, op. cit., p. 21)؛ ألكسندر موريـــه: "النيـــل والحـــضارة المـــصرية" (Alexandre MORET, Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, La Renaissance du livre, 1926, p. 418 et p. 422).

(٣٧) يان أسمن، ماعت، مصر الفرعونيـــة وفكـــر العدالـــة الاجتماعيـــة، (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, op. cit., p. 72).

(٣٨) يان أسمن: المصدر السابق، ص ٧٣.

(٣٩) يان أسمن: المصدر السابق، ص ٧٣.

(٤٠) يان أسمن: المصدر السابق، ص ٨٠.

(٤١) يان أسمن: المصدر السابق، ص ٨١.

(٤٢) يان أسمن: المصدر السابق، ص ٨٢ – ٨٣.

(٤٣) إريك هورنونج: "روح الزمن عند الفراعنـــة"، (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des pharaons, op. cit., p. 58).

(٤٤) المصدر السابق، ص ٥٧.

(٤٥) حدث الشيء نفسه فى نهاية الحضارة المصرية القديمة حيث ظهرت هـــذه المفاهيم مرة أخرى.

(٤٦) "إنسان الواحة" يُسمى أيضاً "النقاشات التسعة المكملـــة للفـــلاح المـــسروق"، ("L'homme de l'Oasis", appelé aussi "les neuf palabres du paysan volé"", op. cit., p. 203).

"يجب أن تكون لغتك سليمة.. "لا تكذب لأنه يجب أن تكون كالميزان".

(٤٧) "إنسان الواحة" ترجمة كلير لالويت، ("L'homme de l'Oasis", traduction de Claire LALOUETTE, op. cit., p. 204)"لا تكذب لأنك رجل مهم. لا تكن خفيفاً لأنك رجل له وزنه. لا تقل كذباً لأنه يجب أن تكون مثل الميزان. لا يكن ذهنك مضطرباً أو مشوشاً لأنه يجب أن تكون مثال الاستقامة".

(٤٨) هنرى فرانكفورت: "الديانة فى مصر القديمة"، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, op. cit., p 117-121).

(٤٩) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ١١٨ – ١١٩.

(٥١) المصدر نفسه، ص ١٢١. مترجم عن الإنجليزية: لا عجب فى أن هؤلاء الذين يتناولون عن قرب دراسة الديانة المصرية مثل التأقلم، يتخذون موقفاً مؤيداً للنصوص المكتوبة لقطاع من الشعب الأقل تفكيراً لكى يصلوا إلى استنتاج بأن معتقدات المصريين فيما بعد الموت فى الحياة الأخرى غير ذات معنى. ولكنهم يتصرفون كرجل أراد أن يقيس معلوماتنا عن النجوم والكواكب فقام بدراسة البروج الموجودة فى الصحافة.

(٥٢) بالنسبة لدور الألوان فى مصر القديمة، يذكر إريك هورنونج، (Erik HORNUNG, op. cit., p. 15)، أن اللون الأبيض هو أيضاً لون ضوء الشمس، راجع، كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية فى مصر القديمة"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome II: Mythes, contes et poésies, op. cit., note p. 290).

(٥٣) أنوبيس إله مدينة الأموات الذى يُنسب إليه اختراع التحنيط. راجع، جى راشيه: "كتاب الموتى عند قدماء المصريين"، (Guy RACHET, Le livre des morts des anciens Egyptiens, op. cit., p. 226).

(٥٤) علامة عنخ هو رمز الحياة مستخرج من كتاب هيلارى ويلسون، (Hilary WILSON, op. cit., p. 46).

(٥٥) يقوم هذا الحيوان بالتهام المتوفى الذى يُحكم عليه بأنه مذنب، وهكذا يُحكم عليه بالموت مرة ثانية.

(٥٦) هو إله الكتابة والمعرفة السحرية، المقابل لهرمس عند الإغريق. راجع، جى راشيه، "كتاب الموتى عند قدماء المصريين"، (Guy RACHET, Le livre des morts des anciens Egyptiens, op. cit., p. 243).

(٥٧) رغم أن السحر سيزداد استخدامه كما تشهد بذلك الآداب الجنازيـــة لإجبـــار المتوفى على المرور.

(٥٨) هو الإله حورس برأس صقر.

(٥٩) أحياناً يكون رع أو تحوت الذى يعتلى الميزان وأحياناً أخرى تمثال صـــغير لمَاعِتْ ممسكاً بعلامة عنخ بدلاً من الريشة. وفى بعض الحالات إنـــاء يمثـــل القلب يحل محل رأس إنسان. كما يُلاحظ أن الـــ ٤٢ قاضياً أو المساعدين أو آلهة مثلاً، قد تمت إضافتهم فى عصر متأخر، ولم يجمع علماء المـــصريات على الدور الذى قاموا به. راجع، چان يويوت وكتابه "محاكمة المـــوتى فـــى مصر القديمة"، (Jean YOYOTTE, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", op. cit., p. 59). وعلى عكس ما كتب، فإن الـــ ٤٢ شخصاً ليسوا قضاة أو مساعدين لهم، وإنما هى النيابة العامة جاثمة وهى أصل الغمـــوض. راجع، هنرى فرانكفورت (Henri FRANKFORT, op. cit., p. 118) .

(٦٠) يبدو أن له أذنين وفماً فى وضع معكوس، كما جاء فى كتاب جـــى راشـــيه "كتاب الموتى عند قدماء المصريين" (Guy RACHET, Le livre des morts des anciens Egyptiens, Editions du Rocher, 1996, p. 27): أربعة أوعية فخارية (خابية) تُحفظ فيها الأحشاء الداخلية للموتى كالكبد والرئتين والأمعاء والمعدة، بينما يبقى القلب فى صدر المومياء، ص ١١٧. كان القلب يُستبدل به أحيانـــاً جعران يحمل الشكل الملائم على القلب.

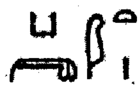
(٦١) افترض بعض العلماء وجود هدف سحرى، على أن إظهار التوازن ما هـــو إلا عملية سحرية تتيح لقدماء المصريين التحقق من التوازن المطلوب للمرور بلا عوائق إلى العالم الآخر. وهى الحالة التى ذكرها إريك هورنونج، بينمـــا يرى فيها چان أسمن أنها حالة تلقين.

(٦٢) وعليه، لم يتمكن علماء المصريات؛ وخاصة مؤرخى الأديان من أن يمنعوا أنفسهم من إسقاط رؤيتنا الأخلاقية والأدبية والضمير.

(٦٣) بالنسبة للطابع المادى الملموس للفظ المصرى، راجع جريمال فـــى مقدمـــة كتاب لالويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية" عنـــد قـــدماء المـــصريين، وأيضاً "فراعنة وبـــشر"، (Pierre GRIMAL, préface à l'ouvrage de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, Des Pharaons et des Hommes, op. cit., p. 15)، وكـــذلك الـــنص الخاص" برجل الواحة"، ترجمـــة كليـــر لالويـــت، ("L'homme de l'Oasis",

traduction de Claire LALOUETTE, op. cit., tome I, p 206, même texte p. 201).

(٦٤) فى النص الذى ذكره ألكسندر موريه ذُكر بالهيروغليفية أن الإله تحوت هــو الذى قام بتلقيح مَاعت. وهذا التعبير تم تكريسه بإدخال رسم للقضيب الذكَرى منتصباً وهو يقذف السائل المنوى. ضمن المجموعــة الهيروغليفيــة، وفــى موضع آخر تحوت يُطلق عليه أنه هو الذى قام بتلقيح مَاعت، راجع، ألكسندر موريه: "طقوس العبادة المقدسة اليومية فى مصر"، (Alexandre MORET, Le rituel du culte divin journalier en Egypte, Paris, Ernest Leroux, 1902, p. 139).



"Ailleurs, Thot est appelé le 'fécondateur de Mâït" (Todtenbuch, CXLI, 14).

(٦٥) وهو أيضاً رأى إيرين شيرونج جروماك: ملاحظات حول الإلهة مَاعــت"، (SHIRUN-GRUMACH, "Remarks on the Goddess MAAT", op. cit., 173-201: cf. p. 173).

(٦٦) كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة: أساطير وخرافــات وحكايــات وأشـــعار"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome II: Mythes, contes et poésies, op. cit., p. 161 et aussi note p. 290).

(٦٧) بالنسبة لرمز الميزان انظر: چان شفالييه، ألان جيربرانت: "قاموس الرموز" (Jean CHEVALIER, Alain GHEERBRANT, Dictionnaire des symboles, Paris, Laffont, Collection Bouquins, 1982, p. 98).

(٦٨) هنرى فرانكفورت: "الديانة فى مـــصر القديمـــة"، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, op. cit., p. 118-119).

(٦٩) النصوص الخاصة بالاعترافات غامضة فى أغلبها بالنسبة لأفكارنا الحديثة.

(٧٠) انظر، كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمـــة (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne

Egypte, tome I, op. cit., Gallimard/Unesco, note 10): لِيَحْيَ حياة مليئة بالصحة والازدهار (وعامرة تختصر هكذا: "حياة - صحة - قوة" ) وهى أمنيات توضع بعد كل اسم ملكى أو لكل شخص ذى أهمية أو من الحاشية الملكية.

# الفصل الرابع
## عدالة تضىء الحضارة المصرية

(١) يان أسمن: " مَاعِتْ مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية" محاضرات ودروس، (Jan ASSMANN, Maat, l'Egypte pharaonique et l'idée de justice sociale, Conférences essais et leçons du Collège de France, Paris, Julliard, 1989, p. 13).

(٢) إريك هورنونج: "روح الزمن عند الفراعنة"، (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des pharaons, Hachette, collection Pluriel, 1996, p. 137).

(٣) أى: النواحى الاجتماعية والدينية والكونية ... إلخ.

(٤) جى راشيه: "كتاب الموتى عند قدماء المصريين"، (Guy RACHET, Le livre des morts des anciens Égyptiens, op. cit., p. 153).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ألكسندر موريه: "النيل والحضارة المصرية"، (Alexandre MORET, Le Nil et la civilisation égyptienne, Paris, La Renaissance du livre, 1926, p. 84-85). وبالنسبة لمتون الأهرام: انظر كلير لالويت، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية فى مصر القديمة" (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 142) : "كُتِبَت هذه النصوص للملك وتشهد على تأمل أصل الكون والمحافظة عليه حسب فكرة دينية كانت متطورة ذات مصادر بعيدة وحالياً لا يمكن إدراكها". انظر بيير جريمال فى مقدمة كتاب كلير لا لويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية فى مصر القديمة"، (Pierre GRIMAL, dans la préface de l'ouvrage de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome II op. cit., p. 8) : "كل هذه النصوص المقدسة وغير المقدسة (الدنيوية)

جاءت من عصور مختلفة تماماً؛ ولكن التاريخ الموضوعى لكل منهـــا لـــيس بقدر أهمية دلالته على استمرارية هذه التقاليد. وبعض النصوص حديثة نسبياً (عصر البطالمة أو العصر الرومانى) ولكن محتواها قد يعـــود (بـــل يعـــود بالفعل) إلى تاريخ غاية فى القدم".

(٧) كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I: op. cit., p. 142; p. 192; p. 266. et, tome II op. cit., p. 34; p. 36; p. 125; p. 173).

(٨) فمثلاً بالنسبة للنص الخاص بهجاء المهن وقدحها، انظر ترجمة كلير لا لويت "نـــصوص مقدســـة ونـــصوص دنيويـــة عـــن مـــصر القديمـــة"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 192) ، أما نصوص التوابيت فهى ترجمة المؤلف نفـــسه، ص ٢٦٦.

(٩) جى راشيه: "كتاب الموتى عند قدماء المصريين"، (Guy RACHET, Le livre des morts des anciens Égyptiens, op. cit., p. 7, p) ؛ وعن نصوص الأهرام، ص ٤١.

(١٠) هنرى فرانكفورت: "الديانة فى مصر القديمة" ــ شـــرح وتفـــسير، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, an interpretation, op. cit., p. 117).

(١١) بيير جريمال: مقدمة لكتاب كلير لالويت " نـــصوص مقدســـة ونـــصوص دنيويـــة"، (Pierre GRIMAL, préface à l'ouvrage de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et textes profanes, tome II, op. cit., p. 8.)

(١٢) جى راشيه، (Guy RACHET, op. cit., p. 141) .

(١٣) كما جاء فى ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية عـــن مصر القديمة"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 84).

(١٤) جى راشيه. "أنا سيد الضوء"، (Guy RACHET, op. cit., p. 174: "Je suis le maître de la lumière." et p. 180) .

(١٥) جى راشيه. (Guy RACHET, op. cit., p. 162).

(١٦) انظر "إنسان الواحة" ترجمة كلير لالويت: "نــصوص مقدســة ونــصوص دنيوية من مــصر القديمــة"، ("L'homme de l'Oasis", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 203).

(١٧) "الحق" يتطابق مع مَاعتْ ويؤدى إلى البهجة. هنرى فرانكفورت: "الديانــة فى مصر القديمة ـــ شرح وتفسير" (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, an interpretation, op. cit., p. 72). انظر سيجفريد مورينز "الديانة فى مصر القديمة"، (Siegfried MORENZ, Egyptian Religion, London, op. cit., et p. 113-116). بالنسبة لفكرة الحق، فهى جانب من الجوانب الفيزيائية.

(١٨) وفقاً لترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية مــن مــصر القديمــة"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome II, op. cit., p. 32).

(١٩) جـــى راشـــيه، (Guy RACHET, op. cit., p. 173-174 et p. 173): "أمقُــت الفوضى، لا أنظر إليها، لا أهتم إلا بمَاعتْ، فأنا أعيش فيها....".

(٢٠) عن مَاعتْ وإسفت Isfet انظر: ميريام ليــشتهايم (Myriam LICHTHEIM, op. cit., p. 18).

(٢١) إريك هورنونج: "روح الزمن عند الفراعنة"، (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des pharaons, op. cit., p. 136).

(٢٢) چان يويوت: "محاكمة الموتى حسب التقاليد فـــى مـــصر القديمـــة"، (Jean YOYOTTE, "Le jugement des morts selon l'Egypte ancienne", op. cit., 1961, p. 21).

(٢٣) چان يويوت: "الفكر ما قبل الفلسفى فى مـــصر"، (Jean YOYOTTE, "La pensée préphilosophique en Egypte", op. cit., p. 1-23; p. 11).

(٢٤) هنـــرى فرانكفـــورت: "ديانـــة مـــصر القديمـــة ـــ شـــرح وتفـــسير"، (HenriFRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, an interpretation op. cit., p. 132).

(٢٥) إريك هورنونج: "روح الزمن عند الفراعنـــة"، (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des pharaons, op. cit., p. 99)، ترجمة كلير لالويـــت: "نـــصوص

مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، ("La prophétie de Neferty", traduite par Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 71) : قرص الشمس مغطى ولم يعد يسطع ليراه الناس. ولن يستطيعوا الحياة إذا غطته السحب، وحرمانهم من ضوئها سيجعل الجميع فى حالة صمم.

(٢٦) إريك هورنونج: (Erik HORNUNG, L'esprit du temps des pharaons, op. cit., p. 139).

(٢٧) كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية فى مصر القديمة"، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome II, op. cit., p. 142).

(٢٨) جى راشيه، (Guy RACHET, op. cit., p. 145: "Chapitre xv)، بلانش (PLANCHE 20): تحية إلى أوزيريس محب السلام الذى يقول: الفضل لك يا من تقف مثبتًا فوق الأفق مثل رع بفضل مَاعِتْ.

(٢٩) جى راشيه: المصدر السابق نفسه، ص ١٥١.

(٣٠) جى راشيه: المصدر السابق نفسه، ص ١٤٩.

(٣١) جى راشيه: المصدر السابق نفسه، ١٥١.

(٣٢) جى راشيه: المصدر السابق نفسه، ص ١٤١.

(٣٣) جى راشيه: المصدر السابق نفسه، ص ١٢٠، الفصل التاسع والعشرون: "هل جئت من أجل قلبى الذى أعيش به؟" وفى صفحة ١٥٥: "أوزيريس آنى (Ani) الذى يبرهن على أنه يحيا بالقلب ...".

(٣٤) فن الحياة عند الوزير بتاح حوتب، ترجمة كلير لا لويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية"، ("L'art de Vivre du Vizir PTAHHOTEP", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit.), ص ٢٤١، مثال لإنصات سيئ للقلب ونتائجه.

(٣٥) انظر، ثعبانا حلم تانوات آمون وغزو مصر، ترجمة كلير لالويت، ("Les deux serpents du rêve de TANOUTAMON et la conquête de l'Egypte", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 42).

(٣٦) فن الحياة عند الوزير بتاح حوتب، ترجمة كلير لالويت، (L'art de Vivre du Vizir PTAHHOTEP", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 239).

(٣٧) الكاهن الأعظم بيتوزيريس وعائلته، حوالى عام ٣٦٠ ق.م، ترجمة كلير لالويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية"، ("le Grand-prêtre PETOSIRIS et sa famille (vers 360 av. JC)", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p 262)، "إن من يطيع الله يهديه إلى الطريق المستقيم، والإنسان الفاضل هو من يسلك هذا الطريق حيث قلبه إليه". مريام ليشتهايم، (sur le coeur comme guide, Myriam LICHTHEIM, op. cit., p. 53).

(٣٨) فن الحياة عند الوزير بتاح حوتب، ترجمة كلير لالويت، "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية" (L'art de Vivre du Vizir PTAHHOTEP", traduction de Claire-LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 236; et tome 2 p 49). ، بخصوص قلب الشمس المتعب.

(٣٩) التعاليم الملكية لسحتب إيب رع، ("L'instruction royaliste de SEHETEPIBRE") ، فى هذا النص يحل الملك محل الشمس، ترجمة كلير لالويت، (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 75).

(٤٠) أناشيد اليائس، الأسرة الثانية عشرة، حوار بين الإنسان وروحه (البا)، ترجمة كلير لالويت. (" Les chants du désespéré, XIIE Dynastie, dialogue entre l'homme et son ba", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 222).

(٤١) Guy RACHET, op. cit., p. 61.

(٤٢) انظر؛ تعاليم الملك أمنمحات الأول إلى ابنه سنوسرت، ترجمة كلير لالويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، ("L'enseignement du roi AMENEMHAT I à son fils SESOSTRIS " traduction de Claire

LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 57 et p. 58).

(٤٣) انظر؛ نحيب لـ (إيبور)، ترجمة كلير لالويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، ("Les lamentations d'IPOU-OUR", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p 215).

(٤٤) الكتاب المخصص لهذا الموضوع والذى يعيد كتابة المقتطفات الهيروغليفية المذكورة: ألكسندر بيانكوف "القلب فى النصوص المصرية"، (Alexandre PIANKOFF, Le "coeur" dans les textes égyptiens, Paris, Librairie Paul Geuthner, 1930).

(٤٥) جى راشيه: مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

(٤٦) جى راشيه: مصدر سبق ذكره، ص ١١٨.

(٤٧) قارن مع ذلك ترجمة مختلفة تكشف عن عدم اليقين وصعوبة ترجمة اللغة المصرية: ترجمة كلير لالويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية" (Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 271)؛ حيث تقول: يا قلبى، أنت جئت من أمى، يا قلبى يا من جئت من أمى، يا قلبى المرتبط بتحوُّلاتى.." يحدد المؤلف فى ملاحظته، رقم ١٣٢، ص ٣٤٢، "ترجمة حرفية تمتُ بصلة إلى أمى".

(٤٨) جى راشيه، (Guy RACHET, op. cit., p. 141): واضح هنا أن الترجمة الحرفية التى لم يشأ الكاتب اعتمادها هى التى تعبر عن المعنى السليم فى السياق المصرى. ويمكن مقارنتها بترجمة نص آخر لميريام ليشتهايم "إنى أعبدك، إن جمالك يتلألأ فى عيونى وشعاعك يلمس حنايا صدرى، إننى أرفع من قدر مَاعِتْ يوميًا نحو جلالتك".

(٤٩) مرسوم (حورمحب) عام ١٣٤٠ ق.م. ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ــ فراعنة ورجال"، ("Le décret d'HOREMHEB 1340 av JC", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, Des Pharaons et des Hommes, op. cit., p. 83).

(٥٠) نيلى شوپاك (Nili SHUPAK): توجد بعض مصطلحات مرتبطة بمفهوم

"القلب" فى مصر وفى "التوراة". مصر الفرعونية. التوراة والمسيحية، (Pharaonic Egypt, the Bible and Chritianity, Jerusalem, ed. S. Israelit-Groll, the Magnes Press, The Hebrew University, 1985, 202-212, et p. 203) حول الرابطة بين الأذن والقلب.

(٥١) جى راشيه: مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

(٥٢) إريك هورنونج: مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.

(٥٣) نبوءة نيفرتى، ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، ("La prophétie de Neferty", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 71).

(٥٤) جى راشيه، (Guy RACHET, op. cit., p. 141; 149): انظر أيضًا، نصوص منقوشة على جدران غرفة الدفن الخاصة بتوت عنخ آمون الذى حكم حوالى عام ١٣٥٠ ق.م. ترجمة قامت بها كلير لالويت "نصوص مقدسة"، وترجمة أخرى لنفس المؤلفة ونفس الكتاب، "الاكتشافات القيمة للقائد أمينحوتب حوالى عام (١٤٨٠ – ١٤٤٠ ق.م.)". ("Textes sculptés sur les parois d'une des chapelles de TOUTANKHAMON qui régna vers 1350 av. J,-C " traduction par Claire LALOUETTE, textes sacrés, tome I, op. cit.,. p 155 et traduction par le même auteur, même livre p. 179: "Les exploits valeureux du commandant AMENEMHEB (vers 1480- 1440 av. J.-C.)").

(٥٥) والتى فى الواقع لا تقوم إلا بتفعيل مبدأ مرور أو عدم مرور الطاقة "الكهرباء" من خلال مادة.

(٥٦) جى راشيه، (Guy RACHET, op. cit., p. 162-163): انظر أيضًا، تعاليم بتاح حوتب، ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، ("Les enseignements de PTAHOTEP", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 265)، حيث تعلمنا أن "القوة تختفى لأن القلب مرهق".

(٥٧) جى راشيه: مصدر سبق ذكره، ص ١٦١.

(٥٨) جى راشيه: مصدر سبق ذكره، ص ١٦١.

(٥٩) كلمات أوزيريس آنى، انظر: جى راشيه (Paroles de l'Osiris-Ani, cf. Guy RACHET, op. cit., p. 61).

(٦٠) الاستقبال الرسمى للوزير رخ مى رع (حوالى ١٤٧٠ ق.م.)، ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، ("La réception officielle du vizir REKHMIRÊ (vers 1470 av. J.-C.)", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 183).

(٦١) هجاء الحِرَف "La satire des métiers"، ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد (١)، ص ١٩٧. لا تكذب على أمك، ذلك هو الرجس والدنس الذى يرتكبه العظماء. وأيضًا "إنسان الواحة" يُسمى أيضًا "التعويضات التسعة للفلاح المسروق"، ترجمة نفس المؤلف ونفس الكتاب ص ٢٠٣. "فليكن لسانك دقيقًا، لا تضل به لأن أحد أجزاء الجسم يمكن أن يكون ثعبانًا للإنسان، ولذا فإياك والكذب"، ونفس النص ص ٢٠٤: "لا تنطق بالكذب لأنك إنسان مهم، لا تكن خفيفًا لأنك رجل له وزنه. لا تقل الكذب لأنه يجب أن تكون كالميزان، لا تكن مشوش الذهن لأنه يجب أن تكون اليقين "من تعاليم الكاتب (آنى) Ani من الكتاب نفسه، ص ٢٥٥. "أما عن الشخص الذى ينتهك (الحقيقة) ويكذب، فهناك الإله الذى يعجل بالحقيقة والعدالة وسوف يأتى مصيره ويقتص منه".

(٦٢) بيريه: "دراسات عن الآثار المصرية"، (PIERRET, Etudes égyptologiques, II, p. 94 ss).: إن من يقول الحقيقة يكون كلامه مطابقًا للفكرة التى ينادى بها الموضوع، بينما العكس هو الخطأ. التطابق فيما يقوله المرء مع ما يفكر فيه بينما العكس هو الكذب. التطابق يثبت عن طريق المقارنة. الكلمة المصرية أيضًا محددة لأنها كتابة رمزية تمثل الفكرة والأداة النموذجية للمقارنة والمعيار والذراع الخاص بالمقياس أو المسطرة ▭. استشهد به ألكسندر موريه من كتاب "طقوس المشاعر المقدسة اليومية فى مصر"، (Alexandre MORET, Le rituel du culte divin journalier en Egypte, op. cit., p. 149, note n° 1).

(٦٣) نجد ذلك فى كتب الموتى عن موضوع المتوفى وفى نصوص عديدة عن موضوع الملوك. مثلاً: كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد (١)، ص ١٥٣ وص ١٧٩.

(٦٤) كلير لالويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد (٢)، ص ٢٧، ص ٢٨. بمناسبة القلب ووظيفته مع الحواس، ص ٢٨، وبمناسبة وظيفة الذراعين والسيقان واليدين وعلاقتها بالقلب.

(٦٥) "إنسان الواحة" "L'homme de l'Oasis" ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية"، المجلد (١)، ص ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٩. انظر: ماريام ليشتهايم، (Myriam LICHTHEIM, op. cit., p. 59 "I abominate rapacity" (J'ai en horreur l'avidité) et p. 61): الضراوة والجشع البغيض (إننى أمقت الجشع، إننى حقيقة مستقيم وليس فى قلبى شراهة أو جشع).

(٦٦) بالنسبة للفكرة القائلة بأنه لا توجد خطيئة ولكن فقط عمل يحيد عن الصواب ومن الممكن تصحيحه. انظر: هنرى فرانكفورت: "الديانة فى مصر القديمة"، (Henri FRANKFORT, Ancient Egyptian Religion, op. cit., p. 73).

(٦٧) كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة". ترجم هنا المؤلف "مَاعِتْ" بكلمة "العدالة"، المجلد (١)، ص ٢١٠.

(٦٨) حول التعبير "يأكل قلبه" من بردية آنى، انظر ترجمة جى راشيه، ص ١٩٣.

(٦٩) "إنسان الواحة"، ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد (١)، ص ٢٠٤.

(٧٠) "إنسان الواحة"، ترجمة كلير لالويت "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد (١)، ص ٢٠٥.

(٧١) التعاليم الملكية لسحتب إيب رع ("L'instruction royaliste de SEHETEPIBRÊ")، ترجمة كلير لالويت، المجلد (١)، ص ٧٥.

(٧٢) جى راشيه، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

(٧٣) جى راشيه، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢.

(٧٤) حوار بين الإنسان وروحه، ترجمة كلير لالويت ("Dialogue entre l'homme et son ba", traduction de Claire LALOUETTE, Textes sacrés et Textes profanes de l'Ancienne Egypte, tome I, op. cit., p. 225)، "يتجه المرء نحو الغرباء لكى (يجد) قلبًا مستقيمًا"، وبمقارنته برأى سيجفريد مورينز بمناسبة المعنى الهيروغليفى لمَاعِتْ، نجد أن مورينز: "الديانة المصرية"، ( Siegfried

MORENZ, Egyptian Religion, London, Methuen and Co ltd, 1976, p. 113)
يفكر بالمعنى الهندسى التمهيدى لكلمة "مستقيم"، ص ١١٣، والتى تعنى فيما بعد معنى أخلاقيًا، المجلد (١)، ص ٢٢٥.

(٧٥) جى راشيه، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

(٧٦) جى راشيه، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

(٧٧) يتطلب المفهوم الحديث للدين إيمانًا بعقائد غير تجريبية لكل شخص. ففى مصر، كل شخص يمكنه من خلال أحاسيسه ونوع حالته الجسمانية والنفسية أن يتحقق من أداء مَاعِتْ وعملها.

(٧٨) وقد ذكر فى كثير من النصوص المتعلقة بإعادة الشباب للجسم "الانتعاش الجسدى وازدهار الحياة والصحة الجيدة أتاحتها الطاقة الشمسية أو ضعف الجسم نتيجة الإنصات السيئ وتدبير الحياة من أثر الإنصات الردىء". انظر: ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، ص ٢٤١، ٢٤٨، ٢٠٥.

(٧٩) انظر: تعاليم الملك خيتى الثالث وابنه مرى كا رع ("L'enseignement du roi KHETI III à son fils MERIKARÊ")، ترجمة كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد (١)، ص ٥٢.

(٨٠) جى راشيه، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

(٨١) يُقال أيضًا إنها كانت مرتبطة بالدورة الحرة لمياه النيل أثناء الفيضانات. ولكن أليست تلك الفيضانات مرتبطة أيضًا وخاضعة للنظام الكونى خاصة النجم سيريوس Sirius الذى يعلن موعد الفيضان فى مصر ؟! وفى الحدث الكونى يتم الإعلان عن فيضان النيل. انظر: هيلارى ويلسون (Hilary WILSON, Understanding Hieroglyphs, London, Brockhampton Press, 1999, p. 174).

(٨٢) إيرين شيرون – جروماك "ملاحظات عن الإلهة مَاعِتْ" عن الريشة، مَاعِتْ والضوء. (Irene SHIRUN-GRUMACH, "Remarks on the Goddess MAAT", op. cit., p. 173)

(٨٣) ترجمة كلير لالويت؛ "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد رقم (١)، ص ٢٩، الملاحظة رقم ١٠. وأيضًا من الكتاب نفسه،

ص ٢٩، ص٣٣، ص٦٧، ص٢٣٩، ص٢٥٨، ص٢٧٥، تعاليم الملك مرى كا رع" ("Enseignements à MERIKARE"): "يجب أن يكون الملك السيد الأعلى ببهجة". انظر أيضًا ميريام ليشتهايم، ص ٢٧: "الحياة والرخاء والصحة".

(٨٤) هي الشمس.

(٨٥) كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد (٢)، ص ٣٢.

(٨٦) كمثال عن الإنصات لمَاعِتْ: انظر: ميريام ليشتهايم (Myriam LICHTHEIM, op. cit., p. 35): "أنا مستمع ينصت إلى الحق. أنا بالضبط مثل الميزان مستقيم حقًا مثل تحوت". بخصوص ملء أُذُنى مَاعِتْ: ميريام ليشتهايم ص٥٠: "هو من يملأ من مَاعِتْ أُذُنى حورس بالحق".

(٨٧) ينبغى ملاحظة أن المترجم وضع هنا مَاعِتْ بين قوسين؛ لأن ذلك يتطابق مع الترجمة الحرفية. وليكن معلومًا أن هذه الترجمة هى الأخيرة والأجدر بالاعتماد عليها.

(٨٨) جي راشيه، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

(٨٩) كلير لالويت: "نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة"، المجلد رقم (١)، ص ٣٧ (ثبات الشمس واستقرارها)، ص٦٧، ص٩٢، ص١٥٢، ص١٥٥، ص١٨٤.

## ختام

(١) ميشيل ڤيلى (Michel VILLEY)، في مقدمة الكتاب الذى كتبه إيمانويل كانتْ "ميتافيزيقا الأخلاق"، الجزء الأول؛ عقيدة الحق، (Emmanuel KANT, Métaphysique des moeurs, Première partie, Doctrine du Droit, Paris, Vrin, 1993, p. 23 ). إذ كتب يقول:

"الموضوع الحقيقى للفن التشريعي، والعدالة التوزيعية (أى التى تقرر لكل شخص ما يستأهله من مكافأة أو يستحقه من قصاص) (هي) ليست فرض عقوبة على بعض قواعد السلوك أى أن نجعل من القانون الحارس على الأخلاق أو

لخدمة حريات الفرد أو شرطًا لأخلاقياته. ولكن، وبكل تواضع: توزيع وتقسيم المصالح والخير بين أصحاب الدعاوى. انظر: جافييه هيرفادا: "مقدمة نقد فى القانون الطبيعي". (Javier HERVADA, Introduction critique au droit naturel, Bordeaux, EDITIONS BIERE, 1991, p. 43, 51, 86; cf. Aristote, Ethique à Nicomaque, traduction J. TRICOT, Paris, VRIN, 1983, 5ème édition, p. 224 et 245-246).

# سلسلة مصريات

## • كتب صدرت

١ ـ كليوباترا

تأليف: مانفريد كلاوس

٢ ـ حكايات شعبية فرعونية

تأليف: جاستون ماسبيرو

٣ ـ معجم آلهة مصر القديمة

تأليف: ماريو توسى، كارلو ريو ردا

٤ ـ التاريخ المصور لمصر القديمة

تأليف: كارلو ريو ردا

٥ ـ الرحلة الكبرى للمسلة

تأليف: روبرت سوليه

٦ ـ ماعت (فلسفة العدالة فى مصر القديمة)، تأليف: أنَّا مانسينى

## • كتب تحت الطبع

١ـ الإسكندرية (أعظم عواصم العالم القديم)، تأليف: مانفريد كلاوس

٢ ـ علماء بونابرت فى مصر

تأليف: روبرت سوليه

٣ ـ الطب عند الفراعنة

تأليف: كريستيانو داليو

٤ ـ الديانة فى مصر القديمة

تأليف: مجموعة من المؤلفين

٥ ـ أخناتون

تأليف: إيريك هورنونج

# مصريات مصورة

## • كتب صدرت

١ أربعون هرمًا من مصر وما يجاورهم

تأليف: بيتر سنودون

٢ هليوبوليس (مدينة الشمس تُولد من جديد)

تأليف: أجنيسكا دوبروفولسكا ـ ياروسلاف دوبروفولسكى

٣ـ الفن القبطى فى مصر ٢٠٠٠ عام من المسيحية

تأليف: مجموعة من المؤلفين

٤ـ الفن المصرى

تأليف: جان لوك بوفو ـ كريستيان زيجلر

## • كتب تحت الطبع

١ـ ميراث مصر الأسطورى

تأليف: كريستيان ديروش نوبلكور

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

## ماعت
### فلسفة العدالة فى مصر القديمة

لعل أروع ما يميز الحضارة المصرية القديمة هو قيامها على أسس الـ "ماعت" التى كانت تجسيدًا يعبر عن جوهر الحق والصدق والعدل والنظام.. واعتُبرت القانون الإلهى الكونى الذى يرسى قواعد الخير والحق فى مواجهة قوى الشر والظلم..

مُثلت الماعت على هيئة امرأة تحمل على رأسها ريشة العدالة، هذه الريشة كانت توضع فى ميزان محاكمة المُتوفَّى فى مواجهة قلبه، حيث كانت هى المقابل لكل الأعمال الصالحة. وكان على ملك مصر أن يطبق قواعد الماعت فى الأرض، حيث يستمد قوته وسلطته منها، وعليه أن يعمل بها، ويحكم وفق قوانينها.

## أنّا مانسينى

دكتوراه فى القانون. لها عدة مؤلفات، منها:

١) كيفية فهم الحضارات القديمة بشكل أفضل.
٢) إيجاد حلول للقانون الرومانى القديم إزاء المسائل القضائية الحديثة.
٣) العدالة والإنترنت – فلسفة القانون للعالم المتعدد الخصوم.

ISBN# 9789774212268
6 221149 015319

٧جنيهات

الهيئة المصرية العامة للكتاب